

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثاني

للسنة الثانية الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي النياوي

فهرس

صفحة

التنوخى :

- قال يصف الليل والنجوم ... ١١
وقال أيضاً في هذا المعنى ... ١١
وقال في وصف رسالة ... ١٢
الدينورى :

- قال يشكو ولده ... ١٢
وقال أيضاً في شكوى الكبير ... ١٣
ابن المنجم :

- قال في الشكوى والتوجع ... ١٣
الضبي :

- قال يصف الليل والسهر ... ١٣
أبو الفضل الميكالى :

- قال في التوجع وشكوى الدهر ... ١٤
وقال في وصف النرجس ... ١٥
الأبيوردى :

- قال في الشكوى ... ١٥
وقال أيضاً يستحث على اقتفاء أثر الآباء
الكرام ... ١٦
الطغرائى :

- قال يصف الغدير ... ١٦
وله في الأعداء والحساد ... ١٧
ومن لاميته للشهورة في الحكم ... ١٨

صفحة

العصر العباسى الثانى

الأدب فى خراسان والعراق

(١) الشعر

الشرىف الرضى :

- ١ قال يتغزل ...
وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك
بهاء الدين البويهى ... ٢
وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى
فى أحد مجالسه ... ٣
وقال يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل
البيت ... ٤
وقال فى صغره ... ٥

مهيار الديلى :

- ٦ قال فى الفخر بقومه فارس وبالإسلام
وقال من قصيدة فى التشوق ... ٧
وقال من قصيدة فى الحكمة والشكوى
وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له
وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين
أبا الحسن ويهينه بالمهرجان ... ٩

أبو سعد الكاتب :

- ١٠ قال فى الشوق إلى بغداد ...
ابن لنكك :
١١ قال فى الهجاء ...

صفحة	صفحة
...	وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولا ١٨
٢٥ ...	وقال يرثي زوجته ... ١٩
٢٥ ...	وقال في أعدائه ... ١٩
٢٦ ...	السمروردي :
٢٦ ...	وقال في الفلسفة والتصوف ... ٢٠
...	الرفاعي :
٢٦ ...	من قوله في العشق الصوفي ... ٢٠
...	السري الرفاء :
٢٧ ...	قال يصف مجلسا ... ٢١
...	وقال يصف الروض والجو في يوم ظهر
٢٧ ...	فيه قوس قزح ... ٢٢
...	وقال يعاتب صديقا أفشى له سرا ... ٢٢
٢٨ ...	الجرجاني :
...	قال يمدح الوحدة ويندم مخالطة الناس
٢٩ ...	الصائبي :
...	قال يهجو ... ٢٣
...	الصاحب بن عباد :
٣٠ ...	قال يذم الشماتة ... ٢٣
٣١ ...	الخوارزمي :
...	قال يوصي بتخير الأصدقاء ... ٢٤
...	ابن نباتة السعدي :
٣٢ ...	قال يصف فرسا أدهم ... ٢٤
...	وقال يعزى صمصام الدولة في أبيه ... ٢٥
٣٣

البيسي :

قال يعزى بالكرم ... ٢٥

وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب ٢٥

وقال في جواب كتاب ... ٢٦

وقال أيضاً في هذا الغرض ... ٢٦

الناشي الأصغر :

قال في معاملة الصديق ... ٢٦

الآهري :

قال في الحكم ... ٢٧

صردر :

قال يصف كتيبة ... ٢٧

وقال يستهدي مداداً ويصف الدواة

والقرطاس والقلم ... ٢٨

السلامي :

قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان ٢٩

(ب) النثر

أولا - النثر الفني

ابن العميد :

من كتاب له في التهديد واللوم ... ٣٠

وكتب إلى أبي عبد الله الطبري ... ٣١

الصاحب بن عباد :

رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الجرجاني ٣٢

وله ؛ فصل من كتاب إلى ابن العميد

جواباً لكتاب إليه في وصف البحر ... ٣٣

صفحة

٥٦	وقال يذكر قيام شبيب العقيلي وكان خارجا على كافور
٥٨	وقال يوم عرفة وقد خرج من مصر فأرأى من كافور إلى الكوفة
٦٠	وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر
٦٣	وقال في الحكمة
٦٤	وقال من قصيدة يمدح بها كافورا
٦٥	وقال في وصف الحياة والناس
	أبو فراس :
٦٦	قال في الشكوى والعتاب
٦٧	وقال في الحكم
٦٧	وقال يشكو حاسديه ويندم فعلهم
	وقال في وصف كتاب ورد عليه من صديق له
٦٨	وقال من قصيدة ينوه فيها بشجاعته
	وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف الدولة
٦٩	وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسر يعاتبه على تباطئه في فكاه
٧١	أبو العلاء المعري :
٧٢	قال في الفخر
٧٥	وقال يصف ديكا
٧٦	وقال في وصف ليلة
٧٧	وقال يرثي فقيها حنفيا
٧٨	وقال يفتخر
	وقال من قصيدة تتضمن كثيراً من خاص آرائه
٨٠	وقال يصف الحياة الدنيا
٨٢	وقال في هذا المعنى

صفحة

٣٤	الخوارزمي : كتب إلى قاضي سجستان حين نكبه أميرها
٣٧	البديع الهمداني : كتب يعتذر من إنباته رسوله عن شخصه المقامة القريضية
٣٨	ثانياً — النثر العلمي التأليف أبو جنى :
٤٢	قطعة من كتابه الخصائص
٤٣	الجرجاني : فصل من كتابه دلائل الإعجاز
٤٤	الحريرى : فصل من كتابه درة الغواص
٤٥	المسعودى : قطعة من مقدمة كتابه التنبيه والإشراف الماوردي :
٤٧	فصل من أدب الوزير
	أبو حمدون :
٤٨	فصل من تذكراته في السياسة والآداب الملكية
	الأدب في مصر والشام (١) الشعر
	المتنبى :
٥٠	قال في صباه من قصيدة
٥١	وقال من قصيدة يصف حرباً
٥٣	وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربه للروم

ابن الفارض :	٨٣	قال في الحكمة
قال من قصيدة ٩٢	٨٣	وقال يصف التدين الكاذب
عمار الينى :	٨٣	وقال في انطباع الناس على الشر
قال من قصيدة يصف فيها داراً ... ٩٣	٨٤	وقال في رأى الناس وخبرهم
القاضى الفاضل :		كشاجم :
قال من قصيدة خمرية وصف فيها	٨٤	قال يشكو الحظ والزمن
بلاغته ٩٥	٨٤	وقال يهجو عوادة
ابن فلاحس :	٨٥	وقال يتغزل
قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال ٩٧		أبو الفرج البغواء
وقال مرتجل وقد خر السقف عليه	٨٥	قال يصف كتيبة وقائدها
من أثر مطر هائل ٩٨		عبد المحسن الصورى
وقال يصف فوارة ٩٩	٨٦	قال يهجو من ضافه
وقال يصف الشمس وهى غاربة	٨٦	وقال فى وصف جميل يسبح فى ماء
فى النيل ٩٩		تميم بن المعز الفاطمى العبيدى :
ابن النبیه المصرى :	٨٧	قال يصف قوارة فى بستان
قال يصف الحياة والموت ٩٩	٨٧	وقال أيضا فى الفخر
وقال يتغزل ١٠٠	٨٨	وقال فى الغزل
ابن مطروح :		أبو الحسن التهامى :
قال يصف حسناء تسير بليل ... ١٠٠	٨٨	قال يرثى ابناً له مات صغيراً
وقال يتغزل ١٠٠		على بن النعمان :
البهاء زهير :	٩١	قال فى وصف صديق
قال فى الشكوى ١٠١		أبو الحسن على بن عبد الرحمن :
وقال فى عتاب الحبيب والتشوق إليه ١٠١		قال فى الهجاء ٩١
وقال فى التغزل ١٠٢		الحسن بن الزبيرى الأسوانى :
وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر		قال يشتاق إلى نهر بردى بالشام ٩١
العزیزة ١٠٣		

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي :

قال في الصبابة والتحزن ... ١١٢

وقال في الروض ... ١١٤

الشاب الظريف :

قال من قصيدة في الشكوى والحكمة ١١٤

وقال في الغزل ... ١١٤

وقال في زيارة الحبيب ... ١١٥

وقال في الغزل ... ١١٥

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع ... ١١٥

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر ١١٦

وقال في الغزل ... ١١٦

سراج الدين الوراق المصري :

قال في شكر الله على نعمائه ... ١١٧

وقال في لوم النفس على المعصية ... ١١٧

وقال في الترفع ... ١١٧

وقال في الحنين الى الأحباب ... ١١٨

نصير الدين الحامى المصرى :

قال بصف شخصا ... ١١٨

وقال في ذم داره ... ١١٨

عمر بن الوردى :

قال في مدح شهاب الدين فضل الله ١١٩

وكتب إلى القاضي جمال الدين يوسف

معاتباً له ... ١٢٠

صفي الدين الحلى :

من ملحه ... ١٢١

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون

عند كسر الخليج ... ١٢١

وقال يهنيء المؤيد بالقدوم إلى الصيد ١٢٣

(ب) النثر

أولاً - النثر الفنى :

أبو الفرج الببغاء :

من كتاب يهنيء فيه بولاية عمل ... ١٠٤

ومن كتاب له في التهئة بعيد ... ١٠٤

من كتاب في التهئة بمولودة ... ١٠٤

على بن خلف :

كتب في الدعوة إلى وليمة ... ١٠٥

القاضى الفاضل :

قال يصف مدينة آمد ... ١٠٦

ابن الصيرفى :

فصل له من كتاب بشارة بالسلامة ١٠٧

ابن قادوس :

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس

بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية ... ١٠٨

ثانياً - النثر العلمى التأليفى

المعرى :

من قوله فى مقدمة اللزوميات ... ١٠٩

ابن شداد :

فصل من كتابه : النوادر السلطانية

والمحاسن اليوسفية ... ١١٠

عصر الممالك والعثمانيين

(أ) الشعر

شمس الدين محمود السكوفى :

قال فى رثاء بغداد ... ١١٢

ابن دقيق العيد :

قال يتمتع الجمع بين الشباب والمشيبي ١٣٣

وقال في الشكوى ... ١٣٣

وقال في بعض الوزراء ... ١٣٣

بجير الدين بن تميم :

قال يصف روضا ... ١٣٤

قال في وكيل بدار القاضي بدمشق ١٣٤

وقال في روضة ... ١٣٤

وكتب إلى كمال الدين النجار وكيل

بيت المال بدمشق ... ١٣٤

وقال في رثاء صديق له اسمه قطب ١٣٥

الدين ... ١٣٥

وقال في التشوق ... ١٣٥

وقال في الغزل ... ١٣٥

وقال في ليلة سكر ... ١٣٥

وقال يهجو ... ١٣٦

وقال يمدح النرجس ... ١٣٦

وقال في روضة ... ١٣٦

الشهاب الخفاجي الحباسي :

قال يتغزل ... ١٣٧

السيد عبد الرحيم :

قال يصف ضعفه ... ١٣٨

وقال يشكو من الأصدقاء ... ١٣٨

وقال يصف الصداقة الحق ... ١٣٨

وقال في لثيم ابتداء بالتحية ... ١٣٨

وقال في الحكمة ... ١٣٩

محمد بن القاسم الحلبي :

قال يحيب الشهاب الخفاجي على قصيدته

التي تقدمت ... ١٣٩

وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتي

المغول وحرهم ... ١٢٤

وقال في فرس أدهم محجل ... ١٢٥

وقال في وصف عود طرب ... ١٢٥

جمال بن نباتة المصري :

قال يرثي ولداً له مات صغيراً ... ١٢٥

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه

في والده ... ١٢٧

وقال في بالناصر حسن ... ١٢٩

صفي الدين بن قرناص الحموي :

قال يصف روضا ... ١٢٩

وقال يصف نهراً ... ١٣٠

علي بن محمود المبارك :

قال يذم داره سكناه ... ١٣٠

ابن سعيد المغربي :

قال يصف الجزيرة ... ١٣١

محمد بن سليم المصري :

كتب إلى سراج الوراق في حمار له

سقط في بئر فمات ... ١٣١

ابن الجنان :

قال يصف روضا على نهر ... ١٣٢

محمد بن الحسين :

قال في نوح الحمام ... ١٣٢

محمد بن الحسن الصائغ العروضي :

قال يتشوق وهو بمصر إلى دمشق ١٣٣

صفحة	صفحة
القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :	أحمد بن العلقمي :
من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن ١٥٢	قال يتمدح ... ١٤٠
الإمام ابن حبيب الحلبي :	عبد الرحمن بن عماد الدين :
من كتاب نسيم العبا ... ١٥٤	قال في الموت وطلب الرحمة ... ١٤١
شهاب الدين محمود الخفاجي :	الأمير محمد بن منبجك :
المقامة السامانية ... ١٥٦	قال متغزلاً ... ١٤١
ثانياً - النثر العلمي	ابراهيم بن المبلط :
الشيخ كمال الدين الدميري :	قال من قصيدة طويلة في الغزل ... ١٤٢
قطعة من كتابه حياة الحيوان ... ١٦١	نور الدين العسيلي :
ابن خلدون :	قال يصف دولاباً ... ١٤٣
فصل من مقدمته ... ١٦٣	الأستاذ الإمام أبو المواهب البكري :
المقريزي :	قال يصف يوم مرج ... ١٤٥
من خطبة كتابه المواعظ والاعتبار ١٦٥	الشيخ عبد الله الشبراوي :
شمس الدين محمد النواجي :	قال في السيد عبد القادر نقيب ... ١٦
من كتابه حلبة الكميت ... ١٦٦	الأشراف ... ١٤٦
ابن خلكان :	وقال متشوقاً إلى مصر ... ١٤٧
من كتابه وفيات الأعيان ... ١٦٧	(ب) النثر
الديار بكري :	أولاً - النثر الفني
فصل من كتاب الخيس في أحوال	الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
أنفس نفيس ... ١٦٨	الصفدي :
الشيخ شهاب الدين الأبيشي :	قال يصف بستاناً ... ١٤٨
قطعة من كتابه المستطرف ... ١٧٢	القلقشندي :
	من رسالة له عن الملك الناصر برقوق
	إلى صاحب فاس ... ١٥١

العصر العباسي الثاني الأدب في خراسان والعراق

(١) الشعر

١ - الشريف الرضي^(١)

قال يتغزل :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك^(٢)
الماء عندك مبدول لشاربه وليس يرؤيك إلا مدمعي الباكي^(٣)
هبت لنا من رياح الغور رائحة^(٤) بعد الرقاد عرفناها برياك^(٥)
ثم انثنينا إذا ما هزنا طرب^(٦) على الرحال تعلقنا بذكراك
سهم أصاب وراميه بذى سلم^(٧) من بالعراق ، لقد أبعدت مرمك^(٨)

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي نقيب أشرف بغداد وأشعر بني هاشم توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح في الاعتدال واللين .
والخائل : جمع خيلة وهي الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) المدمع : مجرى الدمع في العين .

(٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهي المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .

(٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

حَكَّتْ لِحَاظُكَ مَا فِي الرَّيِّمِ مِنْ مُلَحٍّ يَوْمَ اللِّقَاءِ ، وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْحَاكِي ^(١)
كَأَنَّ طَرَفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخْبِرُنِي ^(٢) بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءٍ قَتْلَاكَ ^(٣)
أَنْتَ النِّعِيمُ لِقَلْبِي وَالْعَذَابُ لَهُ فَمَا أَمَرَكَ فِي قَلْبِي وَأَحْلَاكَ
عِنْدِي رِسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكَرُهَا لَوْلَا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَكَ

وَقَالَ مِنْ نَسِيبِ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكَ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ الْبُؤَيْهِيَّ وَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ وَهُوَ
فِي الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ فَتَحَهَا فِي آخِرِ سَنَةِ ٣٩٤ هـ :

أَهْلَاكِ عَنَّا رَبَّةَ الْبُرْقِيعِ مَرُّ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِ ^(٤)
أَنْتِ أَغْنَيْتِ الشَّيْبَ فِي مَفْرِقِي مَعَ اللَّيَالِي ، فَصِلِي أَوْ دَعِي ^(٥)
يَا حَاجَةَ الْقَلْبِ أَلَمْ تَرْضَحِي جَنَایَةَ الدَّمْعِ عَلَى مَدْمَعِي ؟
لَوْلَا ضَلَالَاتُ الْهَوَى لَمْ يَكُنْ عِزَانُ قَلْبِي لَكَ بِالْأَطْوَعِ ^(٦)
كَيْفَ طَوَى دَارَكَ ذُو صَبُوءٍ عَمْدِي بِهِ بِطَرْبِ الْمَرْبَعِ ^(٧)
كَانَ يَرَى نَظَرُهُ سُبَّةً أَنْ مَرَّ بِالْدارِ وَلَمْ يَدْمَعِ ^(٨)

(١) الرِّيمُ : الظبي الخالص البياض .

(٢) الْجِزْعُ : موضع بالحجاز قرب الطائف .

(٣) أَيْ مِنَ الْعَمْرِ : فَيَكُونُ عَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ ٣٤

(٤) الْمَفْرِقُ : وَسَطُ الرَّأْسِ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَفْرُقُ عَنْهُ الشَّعْرُ . أَيْ أَنْ حَبِكَ أَهْمَنِي

فَجَعَلَ الشَّيْبَ يَسْرِعُ فِي رَأْسِي فَوْقَ فِعْلِ اللَّيَالِي بِهِ .

(٥) الْعِزَانُ بِالْكَسْرِ : سِرُّ اللَّجَامِ ، أَيْ : لَوْلَا حَبِي إِيَّاكَ لَمْ يَكُنْ قَلْبِي طَوْعًا لَكَ .

(٦) طَوَى دَارَكَ : مَرَّ بِهَا وَحَازَهَا . وَالْمَرْبَعُ الْمَكَانُ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ وَقْتُ الرَّبِيعِ ، وَيُرَادُ

بِهِ هُنَا الدَّارُ مَطْلُوقَةٌ وَيَطْرَبُ هُنَا : بِمَعْنَى يَحْزَنُ وَيَشْجَى .

(٧) السُّبَّةُ هُنَا : الْعَارُ . وَالْمُرَادُ بِالنَّظَرِ : الْعَيْنُ .

يا حبيذا منك خيالٌ سرى فدلّه الشوقُ على مضجعي
باتَ يعطيني جنى ظلمه وبِتْ ظمآنٌ ولم أنقع^(١)

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسي في أحد مجالسه :

لله يوم أطلعتك به العـلا علما يزاولُ بالعيون ويرشق^(٢)
لما سمت بك غرة مرموقة كالشمس تبهرُ بالضياء وتومق^(٣)
وبرزتَ في بُرد النبيّ ، وللهدي نورٌ على أسرار وجهك مشرق^(٤)
وكان دارك جنة حصباؤها ۱۱ جادى أو أنماطها الإستبرق^(٥)
في موقف تغضى العيونُ جلاله فيه ويفترُّ بالكلام المنطق^(٦)
والنّاسُ : إما راجعٌ متهيّبٌ مما أرى ، أو طالعٌ مشوّقٌ
مألوا إليك محبةً ، فتجمعوا ورأوا عليك مهابةً ، فتفرّقوا

(١) الظلم : تلالؤ أسنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع :
أى لم أروظمى .

(٢) العلم : الجبل . ويزاول : يطلب .

(٣) الغرة : الوجه : ومرموقة : تتجه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق :
تحب وتعشق

(٤) الأسرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٥) الحصاء : الحصى . والجادى : الزعفران . والأنماط : جمع نمط ، وهو البساط ،
والإستبرق : ثياب حريرية .

(٦) تغضى : تغمض .

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لِغَيْرِ الْعُلَا مَنِ الْقَلَى وَالتَّجَنُّبُ^(١) وَلَوْلَا الْعُلَا مَا كُنْتُ فِي الْحَبِّ أَرْغَبُ^(١)
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَعْذِرْكَ فِيمَا تَرَوُّهُ فَمَا النَّاسُ إِلَّا عَاذِلٌ وَمُؤَنَّبُ^(٢)
 مَلَكَتْ بِحِلْمِي فُرْصَةً مَا اسْتَرْقَقَهَا مِنْ الدَّهْرِ مَفْتُولُ الذَّرَاعَيْنِ أُغْلِبُ^(٢)
 فَإِنْ تَكَ سُنَى مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا فَلِي مِنْ وَرَاءِ الْحَدِّ قَلْبٌ مُذْرَبُ^(٣)
 فَحَسْبِيَ أَنِّي فِي الْأَعَادَى مُبْغِضٌ وَأَنَّى إِلَى غُرِّ الْبُلُوغِ إِلَى مُحَبَّبُ^(٤)
 وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ ، وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا وَلَكِنْ أَيَّامِي إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ^(٤)
 يَصُولُ عَلَى الْجَاهِلُونَ ، وَأَعْتَلَى وَيُعْجِمُ فِي الْقَاتِلُونَ ، وَأُعْرَبُ^(٥)
 يَرُونَ أَحْتَمَالِي غُصَّةً ، وَيَزِيدُهُمْ لَوَاعِجَ ضَعْفٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ^(٦)
 وَأَعْرَضُ عَنْ كَأْسِ النَّدِيمِ كَأَنهَا وَمِيزُ غَمَامٍ غَائِرِ الْمَزْنِ خُلْبُ^(٧)
 وَقَوْرٌ ، فَلَا الْأَلْحَانُ تَأْسُرُ عَزَمَتِي وَلَا تَمَكُرُ الصَّهْبَاءُ بِي حِينَ أُشْرَبُ^(٧)
 وَلَا أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوُصْفِهَا وَلَا أَنْطِقُ الْعَوْرَاءَ وَالْقَلْبُ مُغْضَبُ^(٧)

-
- (١) القلى : البغض والكراهة والهجر . أى لولا أننى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب
 (٢) استرققها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى
 أننى أنال بالحلم ما لا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .
 (٣) المذرب : المحدد الماضى .
 (٤) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .
 (٥) الجاهلون هنا : الحقى الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة ، أى أن
 أولئك الجاهلين الحقى يعتدون على ولكن قدرى يرتفع ، ويقولون عنى كلاما كأنه لسخفه
 معجم غير بين ولكننى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعلنى الصالح .
 (٦) لواعج : جمع لاعج ، وهو المحرق . أى أن ترى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم
 (٧) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن الغائر : السحاب الناهب .
 والخلب : الخادع وهو صفة للوميض .

تَحَلَّمُ عَنْ كَرِّ الْقَوَارِصِ شَيْمَتِي كَأَنَّ مُعِيدَ الذَّمِّ بِالْمَدْحِ مُطْنِبٌ^(١)
لِسَانِي حَصَاةٌ يَقْرَعُ الْجَهْلَ بِالْحِجَا إِذَا نَالَ مِنِّي الْعَاظَةُ الْمُتَوَثِّبُ^(٢)
وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عِزِّي فَضَالَاتُ مَا يُعْطَى الزَّمَانُ وَيُسْلَبُ^(٣)
غَرَائِبُ آدَابٍ حَبَانِي بِحِفْظِهَا زَمَانٌ وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعْمُ الْمُؤَدِّبُ^(٤)

وقال في صغره :

سَتَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ مِنِّي إِنْ مَدَّ مِنْ ضَبْعِي طَوْلُ سَنِي^(٥)
أَدْعُ الدُّنْيَا ، وَلَمْ تَدْعُنِي يَلْعَبُ بِي عَنَاوُهَا الْمَعْنَى^(٦)
وَسِعَتْ أَيَّامِي وَلَمْ تَسْغِنِي أَفْضَلُ عَنْهَا ، وَتَضْيِيقُ عَنِّي^(٧)

(١) تحلم ، أصلها تتحلم ، حذف إحدى التاءين ، والقوارص : الشتائم الشديدة .
والشيمة : السجية والخصلة ، أى أن كريم طبعى يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمى بالحلم ،
حتى كأن مكرر ذمى يطيل فى مدحى .

(٢) الحصاة هنا : العقل والجهل : الحمق . والعاضه : الذى يكذب على المرء فى وجهه .
أى أنى إذا آذانى متوثن على ذمى بالكذب فى وجهى ، لم أقابله بالمثل ، ولم أبسط فيه لسانى ،
بل أحلم عليه ، وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم

(٣) الفضلات فى الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أى أنها لا تثنينى
عن معالى الأمور ، فلا يحزننى ما أفقد من هذه الملاذ ، ولا يسرنى ما أنال منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أى إن كبرت سنى ، واشتد عضدى

(٦) المعنى : المرهق الشاق أى أترك الدنيا يلعب بى عناؤها وهى لم تتركى .

(٧) وسعت أيامى : اتسعت لها واستنفدتها . وأفضل . أزيد . أى أن همى تتسع لأيام
حياتى ، حتى تستنفدها ، ثم تزيد عليها ، فالأيام تضيق عن كل ما أريد ، إذ أن همى أبعد مدى منها .

لم أنا مثلُ العاطنِ المُبِينِ أَسْحَبُ بُرْدِي ضَرَجَ وَأَفْنِ^(١)
 ولي مضاعٍ قطّ لم يُخَنِّي : ضميرُ قلبي ، وضميرُ جفني^(٢)
 راض بما يُضوى الفتى ويُضني أسس آباءى وسوف أبني^(٣)
 قد عزّ أصلى ويعزُّ غصني غنيتُ بالمجد ولم أستغن

٢ - مَهْيَارُ الدَّيْلَمِيِّ^(٤)

قال في الفخر بقومه فارس وبالإسلام :

أُعْجِبْتُ بِي بَيْنَ نَادِي قَوْمِهَا أُمُّ سَعْدٍ ، فمضتْ تسألُ بِي
 سرّها ما علمتْ من خَلْقٍ فأرادتْ علّمها ما حسبي ؟
 لا تخالي نَسَباً يَخْفُضُنِي ، أنا من يُرْضِيكَ عند النَّسَبِ
 قَوْمِي اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّهْرِ فَتَى ، ومَشَوْا فوق رُءُوسِ الْحَقَبِ
 عَمَّمُوا بِالشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ ، وبنوا أَيْبَاتِهِمْ بِالشَّهْبِ
 وأبى كسرى علّا إيوانه أينَ في النَّاسِ أبٌ مثْلُ أبى ؟

(١) العاطن : الجمل المبارك بجانب الماء . والمبين : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع
 الدل والضعف . والآفن : سوء الرأي ، أى لم أقيم في دارى مثل الجمل المقيم في المبارك
 الكريه الرائحة ؟ أما آن لى أن أنشط في طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب
 رأى غير سديد ؟

(٢) المضاع : النفوذ والإصابة ؛ أى أن قلبي ونظري ثاقبان في معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفاً هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي ، كان مجوسياً يتكسب بالكتابة في
 الدواوين ، تخرج على الشريف الرضى في الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده
 وتشيع بمذهبه وغلا في التشيع .

قد قَبَسْتُ المجدُ من خير آبٍ ، وقَبَسْتُ الدِّينُ من خيرِ نَبِيٍّ
وضَمَمْتُ الفخرُ من أطرافه : سُودِدَ الفُرْسُ ، ودين العرب

وقال من قصيدة في التشوق :

يا نَسِيمَ الصُّبْحِ مَنْ كَاطَمَةٍ شَدَّ ما هَجَّتْ الْجَوَى والْبُرْحَا^(١)
الصِّبَا — إن كان لا بد — الصِّبَا إِنَّهَا كانت لِقَلْبِي أَرْوَحَا^(٢)
يا نَدَامَايَ بَسْلَعِ ! هل أرى ذَلِكِ المَغْبِقِ والمُصْطَبِحَا؟^(٣)
فاذْكرونا مثل ذكرانا لَكُمُ ؛ رَبِّ ذَكْرِي قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا^(٤)
واذْكروا صَبًّا إذا غَنَّى بَكُمُ شَرِبَ الدَّمْعُ وعاف القدحا

وقال من قصيدة في الحكمة والشكوى :

خَلِيلُكَ مِنْ صَمَا لَكَ فِي البِعَادِ وَجَارُكَ مِنْ أَدَمَ عَلَى الْوِدَادِ^(٥)
وَحِظُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ أَنْ تَرَاهُ عَدُوًّا فِي هَوَاكَ لِمَنْ نَعَادِي
وَرُبَّ أَيْحَ قَصَى العَرَقِ ، فِيهِ سُلُوٌّ عَنْ أَخِيكَ مِنَ الْوِلَادِ^(٦)
فَلَا تَغْرُزْكَ أَلْسِنَةُ رَطَابٍ بِطَائِنُهُنَّ أَكْبَادُ صَوَادِي^(٧)

(١) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرجاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبيح : مكان الاصطباح أى الشرب صباحا .

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهداً وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أى بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطوبة تنطق بالكلام اللين . وصواد : عطشى ، أى ملتهبة من الحقد .

وعش إِمَا قَرِينَ أَخٍ وَفِيٍّ أَمِينِ الْغَيْبِ ، أَوْ عِيشَ الْوَحَادِ^(١)
فإني بَعْدَ تَجْرِبِي لِأَمْرِ أَنْسْتُ — وَلَا أُغْشِكَ — بَانْفِرَادِي
تُرِيدُ خَلَائِقُ الْأَيَّامِ مَكْرَأَ لِنَفْصَلِي عَلَى خُلُقِي وَعَادِي^(٢)
وَتَغْمِزُنِي الْخُطُوبُ تَظُنُّ أَنِّي أَلِينُ عَلَى عَرَائِكِهَا الشَّدَادِ^(٣)
وَمَا شَهْلَانُ نُشْرِقُ قُنِّيَاهُ بِأَحْمَلِ لِلنَّوَابِ مِنْ فَوَادِي^(٤)
تُغْرِبُ فِي تَقَلُّبِهَا اللَّيَالِي عَلَى بَكْلٍ طَارِقَةٍ نَادٍ^(٥)
إِذَا قُلْتُ : أَكْتَفَتْ مِنِّي ، وَكَفَّتْ نَزَتْ بِالْدَّاءِ ثَائِرَةَ الْعَدَادِ^(٦)
رَعَى سَمَنُ الْحَوَادِثِ فِي هُزَالِي كَأَنَّ صَلَاحَهُنَّ عَلَى فَسَادِي
فَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ صَدِيقِي وَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ تِلَادِي^(٧)
يَذُمُّ النَّوْمَ دُونَ الْحَرَصِ قَوْمٌ وَقُلْتُ لِرَقْدَتِي عَنْهُ : حَمَادٍ^(٨)
وَمَا كَانَ الْغَنَى إِلَّا يَسِيرًا لَوْ أَنَّ الرِّزْقَ يَبْلُغُهُ أَجْتِهَادِي
وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له من أولاد الرؤساء يستعينه على أبيه في حاجة :
إِلَى وَزَرَ أَحْطُ بِهِ ثِقَالًا مِنْ الْأَمَالِ وَهُوَ لَهَا مَالٌ^(٩)
رَضِينَا — وَالْعُدَاةُ لَهَا غَضَابٌ — سَجَايَا^(١٠) فَيْكَ أَعْطَاكَ الْكَمَالُ^(١١)

- (١) أمين الغيب : أي لا يقول فيك شرًا حين يغيب عنك . والوحاد : أي التوحد والافتراق .
(٢) أي تريد خلائق الأيام أن تغلبني على أخلاقي وعاداتي وتسلبني إياها ، وتقهزني على تغييرها .
(٣) العرائك : جمع عريكة ، وهي الطبيعة .
(٤) شهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ؛ أي أن جبل شهلان لا يتحمل ما يتحملة قلبه
من النوايب . (٥) أي تأتي بالغرائب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .
(٦) نزت : وثبت . وثائرة العداد ، مهتاجة في عودتها ورجوعها .
(٧) أي فيوما تفقدني صديقًا ؛ ويوما تفقدني مالا .
(٨) حماد : كلمة مبغية على الكسر ، أي حمداً وشكراً ، أي أنه يحمد بعده عن الحرص
وزهده في الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم . (٩) ملجأً ومعتصم .
(١٠) سجايا : أخلاق ، جمع سجية . (١١) أي أعطاك الكمال إياها .

إذا اختلف الحدود فظلت يوماً
من العجباء يرضى السَّلمُ منهم
نموك^(١) فأشبهه الضَّرغام^(٢) شبل^(٣)
وكنتَ ابناً لوالده مُعيناً
ولمَّا لم تَحِبْ فيك الأمانِي
وآنسَ^(٤) منك يومَ بَرقتَ غيثاً
شمايل^(٥) طاب مَعْرُسُها فَطابت
تعدُّهُمْ ، استوى عَمٌّ وخالُ
نفوساً ليس يابها القتالُ
وقايسَتَ^(٦) اليدَ اليمنى الشمالُ
وبعضُهم لوالده عيال^(٧)
رحى بك حيث لم تذب^(٨) النِّصالُ^(٩)
دموعُ سَحابه أبدأ سِجَالُ^(١٠)
كما هبَّتْ عَلَى الرَّوضِ الشَّمالُ^(١١)

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنته بالمهرجان :

هل عند هذا الطَّلَلِ الماحل
أصمُّ ! بل يسمَعُ ! لَكِنَّه
وقفتُ فيه شَبَحًا مَائِلاً
ولا ترى أعجبَ من ناحِلِ
من جَلَدٍ يُجْدَى على سَائِلِ^(١٢)
من البَلَى في شُغلٍ شاغلِ^(١٣)
مُرْتَفِداً من شَبَحٍ مائلِ :^(١٤)
يشكو ضنّاً الجسمَ إلى ناحِلِ^(١٥)

-
- | | |
|--|---|
| (٢) الأسد | (١) رفعوا نسبك إليهم |
| (٤) ساوتها . | (٣) ابن الأسد : |
| (٦) تتباعد وتتجافى . | (٥) ثقل . |
| (٨) أبصر : | (٧) السيوف ، جمع نصل . |
| (١٠) فائضة . | (٩) لمعت ، يريد : ظهرت صغيراً : |
| (١٢) الريح التي تهب من ناحية القطب . | (١١) أخلاق . |
| | (١٣) الماحل : الجذب المقفر . |
| | (١٤) البلى : القدم والريثاء . |
| | (١٥) مرتفداً : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته . |
| | (١٦) الناحل : السقيم الهزيل . |

لَهْفَكَ يَا دَارُ ! وَلَهْفِي عَلَى قُطَيْبِكَ الْمُحْتَمِلِ الزَّائِلِ ^(١)
 قَلْبِي لِلْأَحْزَانِ بَعْدَ النَّوَى ، وَأَنْتِ لِّلْسَافِي وَالنَّاخِلِ ^(٢)
 مِثْلُكَ فِي السُّقْمِ ، وَلِي فَضْلَةٌ بِالْعَقْلِ ، وَالْبَلْوَى عَلَى الْعَاقِلِ
 يَا أَهْلَ نَعْمَانَ أَسْمَعُوا دَعْوَةً إِنَّ أَسْمَعْتَكُمْ مِنْ لَوَى عَاقِلِ ^(٣)
 هَلْ زَوْرَةٌ تُمْتَعِنَا مِنْكُمْ وَهَنًا بِمِعَادِ الْكَرَى الْبَاطِلِ ؟ ^(٤)
 أَمْ هَلْ لِّجَسْمٍ قَاطِنٍ أَنْ يَرَى عَوْدَةَ قَلْبٍ مَعَكُمْ رَاحِلِ

٣ — أَبُو سَعْدِ الْكَاتِبِ ^(٥)

قال في الشوق إلى بغداد :

فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْ الْأَرْضِ حَتَّى خِطَّتِي وَدِيَارِيَا
 فَقَدْ سَرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا وَطَوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَهَا وَرَكَابِيَا
 فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادَ مَنْزِلًا وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجَلَةَ وَادِيَا
 وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَ شِمَانِلًا وَأَعَذِبَ أَلْفَاظًا وَأَحْلَى مَعَانِيَا
 وَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ وَذُكَ صَادِقًا لِبَغْدَادٍ لَمْ تَرْحَلْ . فَكَانَ جَوَابِيَا :
 (يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمَوْسِرُونَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا) ^(٦)

(١) القطيبين : أى من كان مقبلا . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .

(٢) يريد بالسافى والناخل : الريح .

(٣) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل .

(٥) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتّاب بنى بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .

(٦) المقتر : المحتاج . والمرامى المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم .

٤ - ابن لنسك^(١)

قال في الهجاء :

وَعُصْبَةٌ لَمَّا تَوَسَّطْتَهُمْ صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَالْخَاتَمِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْهَامِهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ إِبْلِيسُ إِذَا رَأَاهُمْ لِأَنَّهُمْ عَارٌ عَلَى آدَمَ^(٢)

٥ - التنوخي^(٣)

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ آيِلٍ قَطَعَتْهُ كَصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحَشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْنُ ، وَتَأْتِي حَدِيثَهُ الْأَسْمَاعُ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهُ سُنَنُ لَاحَ يَبْنِيْنُ ابْتِدَاعُ
وَكَانَ السَّمَاءُ خِيْمَةً وَشَى وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا شِرَاعُ
كَانَ لَيْلًا فَصَيَّرَتْهُ نَهَارًا كُتِبُ تَكَبُّتُ الْعَدَا وَرَقَاعُ
وقال أيضاً في هذا المعنى :

وليلة مُشتاقٍ كَأَنَّ نَجْمَومَهَا قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى ، وَهِيَ نُومُ
كَأَنَّ عُمُومَ السَّاهِرِينَ لَطُومَهَا إِذَا شَخَصَتْ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ الْأَنْجَمُ
كَانَ سَوَادَ اللَّيْلِ - وَالْفَجْرُ ضَاكُ يُلُوحُ وَيَخْفَى - أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

(١) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنسك شاعر البصرة وأهلى أهل زمانه بالملقطات

(٢) راءهم : رآهم .

(٣) هو القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد أحد قضاة بني بويه ونديم الوزير المهلب

وقال في وصف رسالة :

وَإِنِّي كَتَابُكَ مَثَلًا وَإِنِّي بِمَفْقُودٍ بِشِيرٍ
وَكَاَنَّهُ الْإِقْبَالُ جَاءَ أَوْ الشِّفَاءُ أَوْ النُّشُورُ
وَكَاَنَّهُ شَرْخٌ ^(١) الشَّبَا بَ وَعِيشُهُ الْغَضُّ النُّضِيرُ
وَإِنِّي وَعِيرٌ ^(٢) اللَّيْلُ وَاقِفَةٌ الرَّاكِبُ لَا تَسِيرُ
فَأَضَاءَ لِي مِنْ كُلِّ فَجٍّ ^(٣) مِنْهُ فَجْرٌ مُسْتَنِيرُ
وَارْتَدَّ طَرَفُ الدَّهْرِ عَنْ نِي وَهُوَ مَطْرُوفٌ ^(٤) حَسِيرٌ ^(٥)
وَرَأَيْتُ أَفْلَاكَ السَّرُورِ بِكُلِّ مَا أَهْوَى تَدُورُ
وَفَضَضْتُهُ فَكَأَنَّهُ أَثْوَابٌ وَشْيٌ ^(٦) أَوْ حَبِيرٌ ^(٧)
وَكَاَنَّهُ لَيْلٌ يَلُوحُ خُ خَلَالَهُ صُبْحٌ مُنِيرُ

٦ - الدينوري ^(٨)

قال يشكو ولده :

رَبَّيْتُهُ وَهُوَ فَرَّخٌ لَا نَهْوْضَ لَهُ وَلَا شَكِيرٌ وَلَا رِيْشٌ يُوَارِيهِ ^(٩)
حَتَّى إِذَا ارْتَأَشَ ، وَاشْتَدَّتْ قَوَادِمُهُ وَقَدْ رَأَى أَنَّهُ آتَتْ خَوَافِيهِ ^(١٠)
مَدَّ الْجَنَاحَيْنِ مَدًّا ، ثُمَّ هَزَّهُمَا وَطَارَ عَنِّي ، فَقَلَّبَنِي فِيهِ مَا فِيهِ

(١) أول .

(٢) قافلة .

(٣) طريق .

(٤) طرفت العين : أصيبت بشيء ، فهي تدمع .

(٥) كليل .

(٦) نوع من الثياب منقوش .

(٧) ثياب يمنية .

(٨) هو أبو القاسم الدينوري عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس

الكتاب بخراسان . (٩) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .

(١٠) ارتأش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش في مقدم الجناح .

والخوافي : صغار الريش ، وهي التي تختفي تحت القوادم .

وقال أيضاً في شكوى الكبير :

عشتُ من الدهر ما كَفَانِي ومرةً ما مرةً من زَمَانِي
وقد حَنَنْتَنِي وَقَوَّسْتَنِي تسعٌ وتسعون وأثنَتَانِ
وقد سُمْتُ الحَيَاةَ مِمَّا أَلْقَى مِنَ الذُّلِّ وَالْمَوَانِ
وَمِنْ أَخٍ كُنْتُ أَرْتَجِيهِ لحادث الدهر قد قَلَانِي^(١)
وَمِنْ غُلَامٍ إِذَا يُنَادِي تَصَامَ النَّذْلُ وَهُوَ دَانِي^(٢)
مُدْمِدُّمٌ لَا أَرَاهُ إِلَّا مُقَطَّبَ الْوَجْهِ مَا رَأَانِي^(٣)

٧ - ابن المنجم^(٤)

قال في الشكوى والتوجع :

هو الدهرُ لم تُبدعْ عَلَى صُرُوفِهِ ولم يَأْتْ شَيْئًا لَمْ أَكُنْ أُنْحِيْلُهُ^(٥)
وما رَاعَنِي الْمَكْرُوهُ إِذْ هُوَ عَادِي لَدَيْهِ ، وَلَسَكُنْ رَاعَ قَلْبِي تَعَجَّلُهُ
تَعَجَّلَ حَتَّى كَادَ آخِرُ فَعْلِهِ يَجِيءُ ، وَلَمَّا يَنْقَطِعْ بَعْدُ أَوَّلُهُ

٨ - الضَّبِّي^(٦)

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ لَيْلٍ سَهْرَتُهُ مُفَكَّرًا فِي امْتِدَادِهِ

-
- (١) قَلَانِي : أَبْغَضَنِي وَكَرِهَنِي .
(٢) تَصَامَمَ : تَصَنَعَ الصَّمَمَ ، أَيْ أَغْلَقَ أُذُنَهُ عَنْ نِدَائِي .
(٣) الدَّمْدَمَةُ : التَّكَلُّمُ فِي غَضَبٍ ، وَمَا رَأَانِي : كَلَّمَ رَأَانِي .
(٤) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْمُنَجِّمِ مِنَ الْأَدْبَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الْبُيْهِيَّةِ .
(٥) أَبْدَعَ : أَنْشَأَ وَخَلَقَ ، أَيْ لَمْ يَأْتْ بِشَيْءٍ كَانَ مَجْهُولًا . وَصُرُوفُهُ : حَوَادِثُهُ .
(٦) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيِّ أَحَدُ وَزَرَاءِ بَنِي بُيُوتِهِ .

كَلَّمَا زِدْتُ رَغْبِيهِ زَادَنِي مِنْ سَوَادِهِ
فَقَبِيضْتُ أَنَّهُ تَائِهٌ فِي رِقَادِهِ
أَوْ تَفَانَتْ نُجُومُهُ فَبَدَا فِي حِدَادِهِ

٩ — أبو الفضل الميكالي^(١)

قال في التوجع وفي شكوى الدهر :

يَا دَهْرُ مَا أَقْسَاكَ يَا دَهْرُ لَمْ يَحْظَ فَيْكَ بِطَائِلِ حُرِّ
أَمَّا اللَّثَامُ فَأَنْتَ صَاحِبُهُمْ وَلَهُمْ عَلَيْكَ الْعَطْفُ وَالنَّصْرُ
يَبْقَى اللَّثِيمُ مَدَى الْحَيَاةِ فَلَا يَرْتَاغُ مِنْهُ لِحَادِثِ صَدْرٍ
تَصِفُو لَهُ الدُّنْيَا بِلَا كَدَرٍ وَيُطِيعُهُ فِي عَيْشِهِ الْيُسْرُ
فَرَامُهُ سَهْلٌ ، وَكُوكِبُهُ سَعْدٌ ، وَغَضَنُ سُرُورِهِ نَصْرُ
وَعَلَى الْكَرِيمِ يَدٌ يُسَلِّطُهَا مِنْكَ الْجَفَاءُ الْمُرُّ وَالْقَسْرُ
إِنْ نَابَ خَطْبٌ فَهُوَ عُرْضَتُهُ يَفْقَرِيهِ مِنْهُ النَّابُ وَالظَّمْرُ^(٢)
أَوْ يَبِغْ مَعْرُوفًا لَدَيْكَ غَدَا يُنْحَى عَلَيْهِ حَادِثُ نُسْكَرٍ^(٣)
مَرْعَاهُ جَذْبٌ ، وَالْحِظْوُظُ لَهُ حَرْبٌ ، وَجَانِبُ عَيْشِهِ وَغَرُّ

(١) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالي بقية آل الميكال أمراء فارس .

(٢) عرضته : هدفه ، ومرمى ضرباته .

(٣) الحادث النسكر : الشديد الذي ينسكر لفظاءته .

وجفاهُ شَوْكٌ ، والبُحورُ لَهُ وَشَلٌ ، وَحَشَوُ فُؤاده جَمْرٌ^(١)
يا دَهْرُ دَعْ ظُلمَ الكرامِ فَهَمُّ عَقْدٌ لِنَحْرِكَ لَوْ دَرَى النَّحْرُ^(٢)
سالمَهُمْ واسْتَبَقَ وَدَّهَمُ فَهَمُ نَجْمُ ظلامِكَ الزُّهْرُ

وقال في وصف النرجس :

أَهْلًا بِنَرْجِسٍ رَوْضٍ بِزَهَى بِحُسْنٍ وَطِيبٍ
يَرْنُو بِعَيْنٍ غَزَالٍ عَلَى قَضِيبٍ رَطِيبٍ
وفيه مَعْنَى خَفِيٌّ يَزِينُهُ فِي الْقُلُوبِ
تصحيفه إن نسقت الـ حُرُوفَ بِرَّ حَبِيبٍ^(٣)

١٠ - الأبيوردي^(٤)

قال في الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشعرَ قُلْتُ : ضَرُوةُ بابُ البِواعثِ والدِواعي مُغْلَقُ
خَلَّتِ البلادُ ، فلا كَرِيمٌ بِرَهْتَجِي مِنْهُ النِّوالُ ، ولا مَلِيحٌ يُعَشِّقُ
ومن العجائب أنه لا يُشْتَرَى ومع الكساد يُخَانُ فيه وَيُسْرَقُ

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٣) التصحيف : التحريف والغلط في قراءة الحروف ، أى أن لفظ « نرجس » لوقريء مصحفاً ولم يكن منقوفاً لكان : بر حبيب : أى عودته وعطفه .

(٤) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي الأموى الشاصر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .

وقال أيضاً يستحث على اقتراف الآباء الكرام :

بَابِي — وإن عظم الفداء — قَدْ لَهْمٌ فِي جَنْبَيْهِ مُنْتَرَكٌ
نَبِيَّهُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَنَجْوَاهُ فِي الْأَفْقِ تَشْتَبِكُ^(١)
وَمَشَى عَلَى كَسَلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ عَثَرْتُ بِكَ الْوَحَادَةَ الرَّمَكُ^(٢)
أَرْضِيَتْ أَمْرًا لَا يَزَالُ بِهِ فِي الذِّلِّ عَرْضُ أَخِيكَ يُنْتَهِكُ ؟
وَالدَّهْرُ يَرْمِي بِالْخَطُوبِ ، وَفِي غُلَوَاتِهَا الْأَيَّامُ تَنْهَمُكَ^(٣)
مَا نَحْنُ مِنْ سُوقٍ فَتَشْبِيهِهُمْ لَمْ يُنْمَنَا إِلَّا أَبٌ مَلِكُ
فَانْظُرْ إِلَى الْأَجْدَادِ كَيْفَ سَعَوْا لِلْمَكْرُمَاتِ وَآيَةً سَلَكُوا^(٤)
هَلَّا أَخَذْتَ بِهِدْيِهِمْ ! فَهَمُّ تَرَكُوا الْعُلَاكَ فَارَعَ مَا تَرَكُوا
وَاطْلُبْ مَدَاهِمُ ، إِنَّهُمْ نَفَرُوا عَاشُوا بِذِكْرِهِمْ ، وَقَدْ هَلَكُوا
وَإِذَا عَجَزْتَ وَلَمْ تَلَمْ بِهِ فَالْعِجْزُ بَعْدَ طِلَابِهِ دَرَكُ^(٥)

١١ — الطُّغْرَانِي^(٦)

وقال مؤيد الدين الطغراني يصف الغدير :

عُجْنَا إِلَى الْجَزْعِ الَّذِي مَدَّ فِي أَرْجَائِهِ الْغَيْمُ بِسَاطَ الزَّهَرِ^(٧)
حَوْلَ غَدِيرٍ مَأْوَاهُ الْمُنْتَمِي إِلَى بَنَاتِ الْمُزْنِ يَشْكُو الْخَصَرِ^(٨)

(١) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .

(٢) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهي الفرس . والوحادة : السريعة الجرى .

(٣) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .

(٤) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أي ما دون الملك .

(٥) الدرك : بلوغ القصد . أي أنك إذا بذلت الجهد سعياً إلى شيء فلم تصبه ، فكأنك

أصبت له لأن على المرء أن يسعى .

(٦) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد نخر الكتاب آخر فحول المشرق في الشعر . ومن

شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل في فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

(٧) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادي أو وسطه ذو الأشجار والنبات .

(٨) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة في الماء .

لو لاذت الريحُ سَموماً به لانقلبتُ وهى نَسِيمُ السَّحَرِ^(١)
 حَصْبَاوَهُ دُرٌّ وَرَضْرَاضُهُ سَحَالَةٌ العَسْجَدِ حَوْلَ الدَّرَرِ^(٢)
 وقد كَسَتْهُ الرِّيحُ من نَسِجِهَا درْعاً بها يَلْقَى نِبالَ المَطَرِ^(٣)
 وألبستهُ الشمسُ من صَنِيعِهَا نوراً به يَخْطِفُ نورَ البَصَرِ
 كأنَّهُ المرآةَ مَجْلُوَّةً على بَسَاطٍ أَخْضَرَ قد نُشِرَ

وله فى الأعداء والحساد :

جاملْ عَدُوَّكَ ما استطعتْ فإنه بالرَّفْقِ يُطْمَعُ فى صلاحِ الفاسِدِ
 واحذِرْ حَسودَكَ ما استطعتْ ، فإنه إن نَمَتْ عنه فليس عنكَ بَراقدِ
 إن الحسودَ وإن أراك تَوَدُّداً منه أضرُّ منَ العَدُوِّ الحاقِدِ
 ولربِّما رضى العَدُوُّ إذا رأى منكَ الجميلَ فَصارَ غَيْرَ مُعاندِ
 ورضا الحسودِ زوالُ نِعْمَتِكَ التى أُوتيتها من طَافِ أَو تالِدِ^(٤)
 فاضْبِرْ على غِيْظِ الحسودِ فَنارُهُ رَمَى حِشَاءً بالعذابِ الخالدِ
 أو ما رأيتَ النارَ تَأْكُلُ نَفْسَهَا حتى تَعُودَ إلى الرَّمَادِ الهامِدِ
 تَضَفُّوْا على الحسودِ نعمةَ رَبِّهِ ويَذُوبُ من كَمَدٍ فَوَّادِ الحاسِدِ

(١) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أى أنه لنداء وطيب جوه لوجاءه ريح موم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٢) الحصباء : الحصى والرضراض : صفار الحصى . والعسجد : الذهب وسحاله : برادته .

(٣) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل :

وهو السهم .

(٤) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالد : القديم المأثور . .

ومن لاميته المشهورة في الحكم :

حُبُّ السلامة يثني هم^(١) صاحبه عن المعالي ويفرى^(٢) المرء بالكسل
فإن جَنَحْتَ إليه فاتخذ نفقاً في الأرض أو سُلماً في الجب فاعتزل
ودع غِمار^(٣) العلا للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل
رضا الدليل بخفض العيش مسكنة والعز عند رسيم^(٤) الأينق الذلل
إن العلا حدثني - وهي صادة فيما تحدث - أن العز في النقل^(٥)
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى لم تهرح الشمس يوماً دارة الحمل^(٦)

وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولاً وبقي بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بعد يومك للحزين الموجع غير العويل^(٧) وأنة^(٨) المتفجع^(٩)
يوم أصيب الدين فيه وعطلت أحكامه ، فكأنها لم تشرع
ومضى الذي كنا نروع^(١٠) بذكره نوب^(١١) الزمان ، فماله من مرجع
من ذا رأى الأسد المدل^(١٢) ببأسه شلوا^(١٣) طريحا بالعراء^(١٤) البلقع^(١٥)
أعزز^(١٦) على بأن أسرح ناظري في مجمع وسواك صدر المجمع
لهفي^(١٧) عليك المستجير يبتغي وزراً^(١٨) لديك وماله من مفزع

-
- (١) عزم . (٢) يولع . (٣) جمع غمرة وهو الماء الكثير .
(٤) سير . (٥) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٦) أحد بروج الشمس .
(٧) رفع الصوت بالبكاء . (٨) التأوه من الوجع . (٩) المتوجع للصيبة .
(١٠) تخيف . (١١) مصائب . (١٢) المنكبر .
(١٣) الشلوهنا : بقية البدن . (١٤) الفضاء . (١٥) الأرض القفر .
(١٦) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، أى ما أعزه !
(١٧) حسرتي . (١٨) ملجأ .

جَمَعَتْ^(١) بك الهمم التي لا تنفنى
ووقفت حيث السيف يُرعدُ متنه
في موقفٍ بين الصوارم والقنا
ضاقت بك الدنيا فعمت جوارها
كل إلى أمدٍ يصيرُ ، فَمُقَعَص^(٥)
عما تروم من المرام الأمتع^(٢)
لم ترعد فرقا^(٣) ولم تتخشع
ضنك^(٤) ويومٍ للكريهة أشنع
ونزعت نحو الخلد أكرم منزع
بالسيف أروح من مريضٍ مَوَجَّع

وقال يرثي زوجته :

ولم أنسها ، والموت يُقبض كفها
وقد دَمَعَتْ أجفانها فوق خدها
وحلّ من المقدور ما كنت أتقى
وقيل : فراقٌ لا تَلَاقى بعده !
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها
هلالٌ نوى من قبل أن تمَّ نوره
فَواعجبا أنى أحمّ اجتماعنا ؟
ويبسُّطها ، والعينُ ترنو وتطرق
جنى نرجسٍ فيه الندى يتَرَقُّرُقُ
وحمّ من المحذور ما كنت أفرق^(٦)
ولا زاد إلا حسرةً وتحرُّقُ
قضت حَسراتٍ كانت الروح تزهِق^(٧)
وغصنٌ ذوى فينانه وهو مَورِق^(٨)
ويا حسرتى من أين حلّ التفرُّقُ ؟^(٩)

وله في أعدائه :

نَكَرُوا عَلَى معايبى فحذرتهَا
ولربما انتقمَ القَتِ بعدوّه
ونَفَيْتُ عن أخلاقِ الأَقْدَاءِ^(١٠)
والسّمِّ أحيانا يكونُ شِفَاءُ

-
- (١) أشرعت . (٢) الصعب على مريده وطالبه . (٣) خوفا . (٤) ضيق .
(٥) المقعص : الليت من ضربة أو رمية . (٦) حم الأمر : قضى ووقع وأفرق : أخشى
(٧) المحتوم : الذى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء
أجله زهقت روحه من طول ما يتحسر ويحزن لمصابه . (٨) الفينان هنا : الكثير
الأهداب والورق . (٩) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، ويتحسر
لهذه الفارقة التى ليس بعدها لقاء . (١٠) الأقداء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين
من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها ، يريد ما يشوب الأخلاق من الصغائر وما يندم .

١٢ - السَّهْرَوَرْدِيَّ^(١)

قال في الفلسفة والتصوف :

قُلْ لِأَصْحَابِ رَأْيِي مَيِّتًا فَبَكَّوْنِي إِذْ رَأُونِي : حَزَنًا
لَا تَظُنُّونِي بِأَنِّي مَيِّتٌ لَيْسَ ذَاكَ الْمَيِّتُ وَاللَّهُ أَنَا
أَنَا عُصْفُورٌ ، وَهَذَا قَفْصِي طَرْتُ عَنْهُ ، فَتَخَلَّى رَهْنًا^(٢)
فَاخْلَعُوا الْأَنْفُسَ عَنْ أَجْسَادِهَا فَتَرَوْنَ الْحَقَّ حَقًّا بَيْنَنَا
لَا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ فَمَا هِيَ إِلَّا بِانتِقَالٍ مِنْ هُنَا

١٣ - الرِّفَاعِيَّ^(٣)

من قوله في العشق الصوفي :

إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِكَ أَنْوَحُ كَمَا نَاحَ الْجَمَامُ الْمَطْوِقُ
وَفَوْقَ سَحَابٍ يَمْطُرُ الْهَمُّ وَالْأَسَى وَتَحْتِ بِحَارٍ بِالْأَسَى تَتَدَفَّقُ
سَلُّوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ بَاتَ أَسِيرُهَا تَفَكُّ الْإِسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوثَقٌ ؟
فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ ، فِي الْقَتْلِ إِرَاحَةٌ وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيُطْلَقُ

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردي ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٢) الرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أي : خليت القفص نائباً منابى .

(٣) هو أبو العباس أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية أم عبيدة ببطاح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ - السرى الرفاء^(١)

قال يصف مجلساً اتخذهُ الحسن بن محمد المهلبى وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات رُكزت حولها رماح علق عليها شمع فكانَ ذلك منظرًا حسنًا :

فضلت ليلالى القصف^(٢) ليلتُك التى هى فى المحاسن عادةً حسناء
رقت غياهبها^(٣) فهن غلائل^(٤) وسجت^(٥) جنائبها^(٦) فهن رخاء
بركٌ تحلّت بالكواكب أرضها فارتدَّ وجهُ الأرض وهو سماء
رُفعت إلى الجوزاء^(٧) فوّاراتها عُمدًا تصاب بصوبها^(٨) الجوزاء
مثل الغنّا^(٩) الخطى^(١٠) قوّم مئله وجرت عليه الفضة البيضاء
حتى إذا انتشرت جلايب الدجى وتكلفت من دونها الظلماء
فرّجنها بصحائحٍ إن تعتلى فلهنّ من ضرب الرقاب شفاء
شمعًا حملت على الرّماح رماحه فقُدودهنّ^(١١) وما حملنّ سواء

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاف مدّاح نشأ بالموصل ، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاده ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هجرية .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : اللهو .

(٣) جمع غيب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب .

(٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريح حارة .

(٧) الصوب : المطر . يريد ما يتصعد من ماء الفوارات .

(٨) الرماح .

(٩) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهن .

وقال يصف الروض والجوَّ في يوم ظهر فيه قوس قزح :

وصاحب يقدهح لى نار السرور بالقدهح^(١)
 فى روضة قد لبست من لؤلؤ الطلِّ سُبَّح^(٢)
 يالغنا^(٣) حمامها مُغْتَبَقًا^(٤) ومصطبَح^(٥)
 أوقظه بالعزف^(٦) أو يوقظنى إذا صدح^(٧)
 والجو فى مُمَسِّك^(٨) طرازه^(٩) «قوس قزح»^(١٠)
 يبكى بلا حزن كما يضحك من غير فرح

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سرّاً :

رأيتك تبدى للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمن
 وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ويارب مزح راح وهو ضفائن
 سأ حفظ ما بينى وبينك صائناً عهدك إن الحرَّ للعهد صائنُ
 وألقاك بالبشر الجميل مداهنًا^(١١) فلى منك خلٌّ - ما عرفت - مُداهنُ
 أُنمَّ^(١٢) بما استودعته من زُجاجة ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

(١) إناء يشرب فيه الخمر .

(٢) جمع سبعة وهى خرزات يسبح بها .

(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .

(٤) وقت اغتباق الخمر ، أى شربها مساء .

(٥) وقت اصطباح الخمر ، أى شربها صباحاً .

(٦) غنى .

(٧) الغناء .

(٨) مطيب بالمسك .

(٩) وشيه .

(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو فى السماء عقب المطر بحمرة وصفرة وخضرة

وغيرها من الألوان . (١١) المداهن : الذى يظهر خلاف ما يضمّر .

(١٢) أنم : أفعل تفضيل من : نم ، أى أفشى .

١٥ - الجرجاني^(١)

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تَطَعْتُ لَذَّةَ العِيشِ حَتَّى صَرْتُ لِلْبَيْتِ وَالْكِتَابِ جَلِيسًا
لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزُّ عِنْدِي مِنَ الْعَدُوِّ ، فَمَا أُبْتَغِي سِوَاهُ أَنْيْسًا
إِنَّمَا الدُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ فَدَعُهُمْ ، وَعِشْ عَزِيزًا رَئِيسًا

١٦ - الصَّابِي^(٢)

قال يهجو :

يَا جَامِعًا خِلَالَ قَبِيحَةٍ لَيْسَ تُحْصَى
نَقَضَتْ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ فَقَدْ تَكَامَلَتْ نَقْصًا
لَوْ أَنَّ لِلْجَهْلِ شَخْصًا لَكُنْتُ لِلْجَهْلِ شَخْصًا

١٧ - الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ^(٣)

قال يذم الشماتة :

وَكَمْ شَامَتٍ بَعْدَ مَوْتِي جَاهِلًا يَظَلُّ يُسَلُّ السَّيْفَ بَعْدَ وَفَاتِي
وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْكِينُ مَاذَا يَفْأَلُهُ مِنَ الظُّلْمِ بَعْدَى مَا تَقْبَلُ مِمَّا تَفِي

(١) هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابِي الحُراني ، كان صابئاً على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتسكب في الكتابة في دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نقائس الرسائل وله شعر جميل ، ومات سنة ٣٧٤ هـ .

(٣) هو الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَادٍ ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفي سنة ٣٨٥ هـ .

١٨ - الْخَوَارِزْمِيُّ^(١)

قال يوصى بتخير الأصدقاء :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد^(٣) سريعة والجمز يوضع في الرماد فيخمد

١٩ - ابن نباتة السعدي^(٢)

قال يصف فرساً أدهم أغر^(٤) مُحجَّلاً حمله عليه سيف الدولة :

يأبها الملكُ الذي أخلاقه من خلقه ورؤاؤه^(٥) من رائه^(٥)
قد جاءنا الطُرفُ^(٦) الذي أهديته هاديه^(٧) يعقد أرضه بسمائه
أولايةً ولَّيْتَنَا ؟ فبعثته رُمحاً سيب^(٨) العُرف عقد لوائه^(٩)
نختالُ منه على أغر^(٤) مُحجَّلٍ ماء الدياجي قطرة من مائه
فكأما لطم الصُّباحُ جبينه فاقتص منه فخاض في أخشائه
متمهلاً ، والبرق من أسمائه متبرقعا ، والحسن من أ كفائه
لا تعلقُ الأخطا في أعطافه إلا إذا كفكفت من غلوائه^(١٠)

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) الجليد : القوى ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي التيمي أحد فحول الشعراء . توفي سنة ٤٠٥ هـ ببغداد .

(٤) حسن المنظر .

(٥) مصدر راء التي هي مقلوب رأى .

(٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه . (٨) شعر العرف . (٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كفكف : صرف ومنع ، والغلواء : يريد السرعة ، أي لا تراه الأعين إلا إذا

منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

قال يعزى صمصام الدولة في أبيه :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَا صَمَّصَامَ أَدْنَى فَضَائِلِهِ التَّكْرُمُ وَالْحِمَاءُ
فَخَذَ بِنَصِيْبِكَ الْمَوْفُورَ مِنْهُ وَخَلَّ الْحَزْنَ يَأْلَفُهُ النَّسَاءُ
كَلَّى عَادَاتِهَا جَرَتْ أَلْيَالِي فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا رَخَاءُ
تَعَزَّ قَبْلَ يَوْمِ أَبِيكَ غَالَتْ غَوَائِلُهَا^(١) الْمُلُوكَ وَلَا سِوَاهُ^(٢)
وَكَنْتُ إِذَا السَّيُوفُ نَبَتْ وَكَلَّتْ مَضَيْتْ ، وَمِنْ سَجِيَّتِكَ الْمَضَاءُ
فَإِنْ يَكْ قَدْ طَوَّتْهُ يَدُ اللَّيَالِي فَإِنَّ الصُّبْحَ يَطْوِيهِ الْمَسَاءُ

٢٥ - البُسْتِي^(٤)

قال يعزى بالكرم :

بَيْنَ مَنْ يُعْطَى وَمَنْ يَأْ خُذْ فِي التَّقْدِيرِ عَرَضُ^(٥)
فَيَدُ الْمُعْطَى سَمَاءٌ وَيَدُ الْآخِذِ أَرْضُ
وَعَلَى الْآخِذِ أَنْ يَشْ كُرْ ، إِنَّ الشُّكْرَ فَرَضُ

وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب :

أَفْذُ طَبْعِكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً يَجْمُ^(٦) وَعَلَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارِ مَا تُعْطَى الطَّعَامَ مِنَ الْمَلَحِ

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .

(٢) السواء : المائلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك في الشرف والمجد والمنزلة .

(٣) لم تقطع .

(٤) هو أبو الفتح البسقي على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب في الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .

(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال في جواب كتاب :

لما أتاني كتابٌ منك مُبتَسِمٌ عن كلِّ برٍّ وفضل غير محدودٍ
حكيتُ معانيه في أثناء أسطره آثارك البيض في أحوالي السودِ

وقال أيضاً في هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنوَّارٍ لهُ ثمرٌ في الوقتِ يُمْتَعُ سَمْعَ المرءِ والبصرا^(١)
حتى أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلِّ لفظٍ ومعنى يشبه الدررا
وكان لفظُك من لآلئه زهراً ، وكان معناه في أثنائه آمرا
تسابقاً ، فأصابا القصد في طلق لله من ثمرٍ قد سبق الزهرا^(٢)

٢١ — الناشئ الأصغر^(٣)

قال في معاملة الصديق :

إني ليهجُرني الصديقُ تجنُّياً فأريه أنَّ لهجره أسباباً
وأخافُ إن عاتبته أغريتهُ فأرى له ترك العتاب عتاباً
وإذا بليتُ بِجَاهِلٍ مُتَعَاوِلٍ يدعُو المُحال من الأمور صواباً
أوليتهُ منِّي السكوت ، وربما كان السكوتُ عن الجواب جواباً

(١) النوار : الأبيض من الزهر .

(٢) الطلق : الشوط في الجري ، أى في شوط واحد .

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بالناشئ الأصغر ، والشاعر البليغ المتوفى

٢٢ - الأبهري^(١)

قال في الحكم :

متى ترغب إلى الناس تكن للناس مملوكا
وإن أنت تحققت على الناس أحبوكا
وإن ثقلت عافوك ومملوك وسبوكا^(٢)
إذا ما شئت أن تُعصى فمُر من ليس يزوجوكا
وسل من ليس يخشاك فيدعى عندها فوكا

٢٣ - صردر^(٤)

قال يصف كتيبة^(٥) :

وفوارس يضلون نيران الوغى مما تشير جيادهم بدخان
جنبوا^(٦) إلى الأعداء كل طمرة^(٧) بنيت مفاصلها على شيطان
طلعوا طلوع الشمس بغير ضوءها هام^(٨) الرثبا ومغابن^(٩) الغيطان
في كل معترك تجيل كماتهم قدحاً يفوز إذا التقى الجمعان

-
- (١) هو أبو الحسن علي بن مأمون الأبهري ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .
(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .
(٣) يدعى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالاتك بما يكون لفعك كالجرح الدامى .
(٤) هو على بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى .
توفي سنة ٤٦٥ هـ بطريق خراسان .
(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للاغارة والغزو .
(٦) قادوا .
(٧) الفرس الجواد .
(٨) رءوس .
(٩) ما استتر من الأرض .

فاسأل جبال الرّوم لما طوّقوا أعناقهم من جمعهم برعان^(١)
تركوا المعارك كالمناحر^(٢) من منى^(٣) وجماجم^(٤) الأعداء كالقُرْبَانِ
فكأُما فرش النّجيع^(٥) تلاءمها^(٦) ووهادها^(٧) بشقائق النّعمان^(٨)

وقال يستهدى مداداً ويصف الدواة والقرطاس والقلم :

إليك أشكو مشياً لاح بارقه^(٩) في فرع دهماء^(٩) تجري بالأساطير
كانت مفارقها مسكاً مضجخةً فما لها بُدّلت منه بكافور^(١٠)
ومُقَلَّةً عُدّت كحلاء مرّهما^(١١) طول البُكاء على بيض الطّوامير^(١٢)
يا حبذا هي والأقلامُ واردةٌ فيها وصادرةٌ سُحْمٌ^(١٣) المناقير

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذي له فصول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .

(٢) المذابح .

(٣) منسك من مناسك الحج .

(٤) جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٥) الدم .

(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معاً من الأرض ، وأراد هنا المرتفع .

(٧) جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض .

(٨) نبت أحمر ، واحدها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وأضيفت إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنه حمى أرضاً فكثرت فيها .

(٩) الدهماء : التامة السواد شبه بها الدواة لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجري منها بالسطور .

(١٠) أى أن هذه الدواة كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء كالـكافور لذهاب مدادها .

(١١) أخلاها من الكحل .

(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .

(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنما كرت^(١) في ناظرى رشاً^(٢) أو في سويداء قلب غير مسرور
 تحوى القراطيس منها روضة أنفاً^(٣) بها مفاخرة الظلماء للنور
 فكيف لى بخطاب^(٤) تسترد به من الشيبه لونا غير مهجور
 لو أن صبغته فاز الشباب بها لما رعى الدهر فؤديه^(٥) بتغيير
 ٢٤ — السلامى^(٦)

قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهرٍ تمرُّ الأمواج فيه مراح^(٧) الخيل في رهج^(٨) الغبار
 إذا اصفرَّت عليه الشمسُ خلناً نمير^(٩) الماء يمزج بالعقار^(١٠)
 كأن الماء أرض من لجين^(١١) مغطاة صفائح^(١٢) من نضار^(١٣)
 وأشجاره محملة كؤوساً تضحك^(١٤) في أحجارٍ واخضرار
 إذا أبصرن في نهر سماء وهبن له نجوم الجلائر^(١٥)

(١) شربت .

(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .

(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) ما يختضب به ، أى يصبغ به الشعر .

(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى

يظفر بمثله الشاب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .

(٦) هو محمد بن عبد الله السلامى من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ .

وقال الشعر في العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد وبعض الدولة فبلغ عندهما

منزلة حسنة . وتوفى سنة ٤٩٤ هـ .

(٧) نشاط .

(٨) رهج الغبار نفسه . فالإضافة بيانية .

(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الحجر .

(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .

(١٤) أصله تتضحك ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً . (١٥) زهر الرمان .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — ابن العميد^(١)

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُترجِّحٌ بين طمع فيك ويأسٍ منك ، وإقبالٍ عليك ، وإعراضٍ عنك ، فإنك تُدُلُّ^(٢) بسابقِ حُرمة . وتمتُّ بسالف^(٣) خدمة . أيسرُهما يُوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية . ثم تشفعُهما بحادث غُلُول^(٤) وخِيَانَةٍ ، وتُدْبِعُهما بآنف^(٥) خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يُحْبِطُ^(٦) أعمالك ، ويسحقُ كل ما يُرى لك ، لا جرَمَ أنى وقفتُ بين ميلٍ إليك وميلٍ عليك ، أقدمُ رجلا لصدك ، وأوخرُ أخرى عن قصدك ، وأبسطُ يداً لاصطلامك^(٧) واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقفُ عن امتثال^(٨) بعض المأمور فيك . ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسةً فى الصنعة^(٩) لديك ، وتأميلاً لفيئتك^(١٠) وانصرافك ، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغربُ^(١١) العقل ثم يؤوب . ويعزبُ اللَّبُّ

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنشور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الإدلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) تمت : تتوصل وتتصل . (٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد . (٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتثال ، يريد به الطاعة والإنفاذ .

(٩) الصنعة : الإحسان والتكرم .

(١٠) لفيئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب ويغيب . ويعزب : مثل يغرب .

ثم يثوب . ويذهب الحزم ثم يعود . ويفسد العزم ثم يصلح . ويضع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء . وكل غمرة^(١) فإلى انجلاء . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك . وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت مراكبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنقبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسي^(٢) في الإبقاء والمماثلة ما صلح ، وعلى الاستيفاء^(٣) والمطالبة ما أمكن ، طمعا في إنباتك^(٤) ، وتحكما لحسن الظن بك . فلست أعدم فيما أظاهره من إعدار^(٥) ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك ، فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك ، فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبي عبد الله الطبري :

كتابي وأنا بحال لو لم ينغص منها الشوق إليك ، ولم يرتق^(٦) صفوها النزاع^(٧) نحوك ، أعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظي منها في النعم الجميلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ، وفي سعيي بنجاح ، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدى عنك ، ويخلو ذرعي^(٨) مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك .

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر الساج ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والحن والمصائب .

(٢) الرسم : أي ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته .

(٣) الاستيفاء : التمهّل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفي عذرك في المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرتق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالي الذرع : أي فارغ القلب من الهموم ، ويراد بالذرع : الطاقة

وسعة النفس والخلق .

وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشمل أنسى . وقد حرمت
رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك . وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع
أنس بيت بلا نظام . وقد قرأت كتابك — جعلني الله تعالى فداءك فامتلات
سروراً بملاحظة خطك ، وتأمل تصرّفك في لفظك ، وما أقرّظهما ؛ فكل
خصالك مقرّظ عندي . وما أمدحهما ؛ فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي^(١)
وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك^(٢) وإلا فقد
غطى هواك وما ألتقى على بصرى^(٣) .

٢ — الصاحب بن عباد^(٤)

رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الرى
وافداً عليه :

تحدثت الرّكابُ بسير أروى إلى بلد حطّطت به خيامى^(٥)
فكدت أطيّر من شوقى إليها بقادمة كقادمة الحمام^(٦)
أفحق ما قيل أمر القادم ، أم ظنّ كأمانى الحالم ؟ لا والله ! بل هو درك العيان
وإنه ونيل المنى سيّان ، فرحباً أيها القاضي براحتك ورخلك^(٧) ! بل أهلاً بك .

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) فى الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فإن كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثّل به الكاتب .

(٤) هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ،
وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد فى كتابة الشعر المنشور ، توفى سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهى كبار الريش التى فى مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر : والرحل ما يستصحب فى الارتحال

من الأثاث .

وبكافة أهلاك ، ويا سُرعة ما فاح نسيمُ مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك .
 مُخِتَ المطى تَزَلْ غَلَّتْ بِسُقْيَاكَ ، وتَزَخْ عَلَّتْ بِلَقْيَاكَ ، ونَصَّ على يومِ الوُصول
 لنَجْمِه عيداً مشرفاً ، ونَتَخِذُه موَسِماً ومُعَرِّفاً^(١) وَرَدَّ الْغُلَام ، أسرع من رَجْع
 الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نَسْر وأن يترك الصَّبَا في عقالٍ وأَسْر^(٢) :

سقى الله دارات مررت بأرضها فأدتك نحوى يا زياد بن عامر
 أصائلُ قُرب أَرْتَجِي أَنْ أَنَالَهَا بِلَقْيَاكَ قَدْ زَخَزَخْنَ حرَّ الهواجر^(٣)

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جواباً لكتابه إليه في وصف البحر :

وصل كتابُ الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من
 عجائبه ، وعان من مراكبه ، وما رآه من طاعة آلائها للرياح كيف أَرَادَتْهَا ، واستجابة
 أدواتها لها متى نادَتْهَا ، وركوب الناس أشباحها والخوفُ بمرأى ومسمَع ، والمنون
 بمرقب ومطلع ، والدهرُ بين أخذ وترك ، والأرواحُ بين نَجاةٍ وهلاك ، إذا فَكَّرُوا
 في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غُرُرُ المطالب الكثيرة
 حُبِبَ إِلَيْهِمُ الْغَرَرُ^(٤) . وعرفتُ ما قاله من تَمَنِّيهِ كَوْنِي عند ذلك بحضرته ، وحصولي
 على مُساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخُرُ بالفضل ، وتتلطمُ فيه أمواجُ

(١) المعروف بصيغة اسم المفعول : موقف عرفات ، شبه به قدومه عليه .

(٢) أى يسبق في سرعته ريح الصبا حتى كأنها في جانبه مأسورة . أخذ من قول

امرئ القيس (قيد الأوابد هيكلاً) .

(٣) الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب . والهواجر : جمع هاجرة ،

وهي وقت القيظ في وسط النهار .

(٤) الغرر : الهلاك ، يكون من تعريض المرء نفسه له .

الأدب والعلم ، لم يغتبط على الدهر فيما يُفِيتهُ من منظر البحر . ولا فضيلة له عندى
أعظم من إكبار الأستاذ لأخواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شئ أبلغ في مفاخره
وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له ، فإنى قرأتُ منه الماء السُّلسال^(١)
لا الزلال ، والسَّحَر الحرام^(٢) لا الحلال . وقد علم أنه كتب وما أخطر بفكره ،
سعة صدره^(٣) ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً^(٤) لا يفضلُ عن التَّبَرُّض^(٥) ،
وتمدأ^(٦) لا يكثرُ عن الترشف^(٧) .

وكم من جبال جئت تشهد أنك الـ جبال ، وبحر شاهد أنك البحر

٣ - الخوارزمي^(٨)

كتب إلى قاضى سجستان حين نكبه أميرها :

إذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ كلاكله أناخ بأخرينا^(٩)
فقلْ للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(١) أى الكلام المتسلسل لا الماء الحقيقى البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .

(٢) أى الحرام على غيرك ، فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله : (لا السحر الحلال)

يريد به الإنشاء الذى فى إمكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأواً ابن العميد .

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره .

(٤) الوشل : الماء القليل .

(٥) التبرض : التبلىغ بالماء القليل للضرورة .

(٦) التمد : الماء القليل .

(٧) الترشف : الشرب قليلاً قليلاً والامتصاص .

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف

الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٩) الكلاكل . جمع كلـكل . وهو الصدر ، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ

وبرك أيضاً بعد زمن بأخرين .

أما بعد — أيد الله تعالى القاضى — فإنه لم يُحسن إلى غيره من أساء إلى نفسه ، ولم ينصُرْ أصدقاءه ، من خَذَلَ حَوْبَاءَهُ^(١) ؛ وإنما يُحب المرء أخاه بما فَضَلَ عن محبته لروحته التى له خيرُها ، وعليه ضيرُها . وكانت مُحَنَّةُ القاضى مُحَنَّةً شَمِلَتْ الأنام^(٢) : وَخَصَّتْ الكرام ؛ وَوَجِبَ على كُلِّ مَنْ اشْتَمَ رَوَاحِ العقل ؛ وَمَيَّزَ بين النقصان والفضل ، أن ينظر لها أَلَمًا ؛ وأن يبكى عندها دَمًا . وخلص إلى من ذلك ما أضحك منى الأعداء ، وأبكى لى الأصدقاء ، حتى رحمني من كان يحسُدنى ، وحتى عَجِبَ من جزى من كان يُصَبِّرُنِى ، وحتى غَضِضَتْ طَرْفًا طالما رفعته ، وقبضت بنانًا طالما بسطته ، وحتى عُزِّيْتُ كما يُعزَّى الشكْلان^(٣) وسُلِّيتُ كما يُسَلَّى اللَهْفان .

وأنا بعد ذلك أستصغر فعل نفسى وهى جَزَعَةٌ هَلِيعَةٌ^(٤) ، وأستقلُّ سَعَى عَيْنِى وهى سَخِينَةٌ دَمْعَةٌ^(٥) . وكان يجبُ على مُقْتَضَى هذه الجملة ، وأساس هذه البنية ، أن أحضُرَ مجلس القاضى فأصابه نهاراً ، وأساهره ليلاً ؛ وتكون الحنَّةُ بينى وبينه أحملها عنه ، ويحملها عني ؛ ولكنى علمت أن والينا هذا رجل ينظرُ إلى الذنب الخفى ، ويتغابى عن العُذْر الجلى . وله أذنان : واحدة يسمعُ بها البلاغات وهى كاذبة ، وأخرى يَصْمُ بها عن المعاذير وهى صادقة ؛ وليس بينه وبين العفو نسب ، ولا له إلى التثبت طريق ولا مذهب . ولو تعرضت لسخطه ؛ بعد ما عرفته من شططه^(٦) ؛ لتحملتُ دونه الوزر

(١) الحوباء : النفس .

(٢) الحنة : الشدة والمصيبة .

(٣) الشكْلان : الفافد ولده .

(٤) جزعة هليعة : شديدة الحزن .

(٥) سَخِينَةٌ دَمْعَةٌ : ساخنة من الوجع ، سريعة الدمع .

(٦) شططه : جوره وتعديه الحدود .

في ظلمي ، ولـكـنـتُ مُقـدِّمـته إلى ذنبي . ومن قعد تحت الرّيبة ركبته ، ومن تعرّض للظنّة نالته .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعث من حضوري أن يثب هذا الجبار وثبة يصون القاضي عنها ، ويبتدئني بها ، فأكون قد ضررت نفسي ، ولم أنفع غيري ؛ فإذا بالحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين ، وتكرّرت عليه كرّتين ؛ يرى بولي من أوليائه داء لا يقدر على دوائه ، ويرى وقوداً لا يصل إلى إطفائه ؛ ويتبين في حالة^(١) متصلة بحاله ثلثة^(٢) لا يمكن سدها ؛ ومحنة لا يستوى له ردّها . فلما ميّلت^(٣) بين تخافي آمناً ، وحضوري خائفاً ؛ عدلت بين طرفي الرّزية ، ووزنت بين مقداري الحنة ، فرأيت أن أميل مع السلامة وأقنع من العمل بالنيّة ؛ وأغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة ، فغبت وكلّي غير جسمي شاهد ، وتخيّرت^(٤) وما أنا إلا مشاهد ، وبعدت قلبي قريب ، وباينت قلبي سهيم^(٥) ، وأغضيت على عين كلها قذى^(٦) ، وانطويت على صدر كلّ شجاء^(٧) ، وانصرفت بقلب ساخط راض ، وأغضت بجفن ضاحك باك ، وقلت :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل^(٨)

(١) أي في حالي المتصلة المرتبطة بحاله .

(٢) الثلثة : فرجة المكسور أو المهدوم .

(٣) ميل بين الأمرين : رجح بينهما ووازن .

(٤) تخيّرت : انحرفت وملت وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .

(٥) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أي مباين لك منفصل عنك ، ولكن قلبي مشترك

بينى وبينك .

(٦) القذى : ما يدخل في العين من جسم غريب عنها .

(٧) الشجاء : ما ينشب ويلق في الحلق من شوكة ونحوها .

(٨) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول في خالد بن عبد الله القسري وإلى العراق للخليفة

هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نسجت في ذم الظالم حُللاً لا يبيلها الماء ، ولا يحففها الهواء ،
ولا تغطي عليها الظلماء . والمغبون من احتقب^(١) الإثم ، والغارم من غرم العرض ،
والراجح من محنته فانية ، ومثوبته باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف
المظلوم لكان يهتَى .

جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد^(٢)
ولا ليومها غد ، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر ، وخاتمة لقائه لريب
الدهر . ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين ، ولا أخلاه . وفيما بعده من مزيد
للساكرين برحمته .

٤ — البديع الهمداني^(٣)

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز عليّ أطل الله بقاء الرئيس . أن ينوب في خدمته قلبي ، عن قدمي ،
ويسعد برويته رسولي ، دون وصولي . ويرد مشرع^(٤) الأنس به كتابي ، قبل
ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة ! .

وعليّ أن أسعى وليد س عليّ إدراك النجاح

(١) احتقب الشيء : جعله في حقيقته .

(٢) أى لا يعقبها غيرها .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب
المقامات المشهورة . نشأ بهمدان ، ونبغ في الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات
سنة ٣٩٣ هـ .

(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ داره . وقبّلتُ جداره . وما بى حب الجدران ، ولكن شغفاً
بالقطّان^(١) . ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان . وحين عدت العوادي
عنه أملتُ ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن
تقصير وقع ، أو فتور في الخدمة عرض ، ولكنى أقول :

إن يكن تركنا لقصدك ذنباً فكفانا ألا نراك عقاباً

المقامة القريضية

وللهمدانى مقامات^(٢) معروفة ، وهذه هي المقامة الأولى منها :

حدثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتنى النوى مطارحها حتى إذا وطئتُ جرجان الأقصى ، استظهرت
على الأيام بضيايح أجلتُ فيها يد العمارّة ، وأموالٍ وقفتُها على التجارة ، وحانوتٍ
جعلته متآبة ، ورفقة اتخذتها صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيتي النهار ، وللحانوت
ما بينهما ، فجلسنا يوماً نقذا كُرُ القريض وأهله ، وتلقاؤنا شابٌ قد جلس غير بعيد ،
يُنصتُ وكأنه يفهم ، ويسكتُ وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلام بنا

(١) القطان جمع قاطن ، وهو الساكن بالمكان ، المقيم به . وهذا المعنى مضمون
قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ، لىلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة . مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمي بها المجلس ومكان الاجتماع
ثم اتسع استعمالها حتى سمي بها ما يقال فى المجلس من خطبة وموعظة . فقالوا : مقامات الخطباء
ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية بين اثنين أو أكثر أو موعظة أو وصف أو بحث
أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريرى والهمدانى .

مَيْلَةً ، وجرّ الجدال فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عذيقه ، ووافقتم جذيله^(١) ، ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو قلت لأصدرت وأوردت ، ولجلوت الحق في معرض بيان يُسمع الصم ، ويُنزِلُ العصم^(٢) . فقلت : يا فاضل ادن فقد منّيت ، وهات فقد أثنيت ؛ فدنا وقال : من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وُكُناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسبا ، ولم يُجد القول راغبا ؛ ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عشق ، ويسلب إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب ، ولا يرمى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يُذيب الشعر والشعر يُذيبه ، ويدعو القول والسحر يُجيبه . قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرار دقائمه ، ولم تفتح أغلاق^(٣) خزائنه . قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جرير أرق شعرا ، وأغزر غزرا^(٤) ، والفرزدق أمتن صخر^(٥)

(١) العذيق : تصغير العنق (بكسر العين) وهو كباسة الثمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، كذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ، لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أي يربطونه بسعفها لئلا ينقص ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون في الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكلون) .

(٤) غزرا . مصدر غزر .

(٥) أي أنه متنوع القوافي .

وأكثرُ فخراً ، إذا نسب أشجى^(١) ، وإذا ثلب أردى ، وإذا مدح أسنى^(٢) .
والفرزدق إذا افتخر أجزاً^(٣) ، وإذا احتقر أزرى ، وإذا وصف أوفى . قلنا :
فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرفُ
لفظاً ، وأكثر من المعاني حظاً ، والمتأخرون ألطفُ صنْعا ، وأرقُ نسجاً . قلنا :
فلو أريت من أشعارك ، ورويت لنا من أخبارك ! قال : خذهما في معرض
واحد . وقال :

إمّا تروني أنغشى طمرا ^(٤)	مُمتطياً في الصُّرِّ أمراً ^(٥)
مُضطرباً على الليالى غمرا	ملاقياً منها صُروفاً خُمرا ^(٦)
أقصى أمانىَّ طلوعُ الشعري	فقد غنينا بالأمانى دهُرا ^(٧)
وكان هذا الحرُّ أغلى قدراً	وماء هذا الوجه أغلى سعرا ^(٨)
ضربتُ للسَّرا قباباً خضرا	في دار دارا وإوان كسرى ^(٩)
فانقلب الدهرُ لبطنٍ ظهرا	وعاد عُرفُ العيش عندى نكرا

(١) لغة في شجاء ، بمعنى : أحزن .

(٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٣) مسهل أجزاً بالهمزة : يعنى كفى وأغنى .

(٤) الطمر : الثوب البالى .

(٥) أمرا إمرا : منكرا عجباً .

(٦) الحر : جمع حمراء ، يريد صروفاً شديدة الوقع .

(٧) الشعري : نجم يطالع في الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار

(٨) يريد بالحر . نفسه .

(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإوان كسرى :

بهو عظيم فى القصر الأبيض بالمداثن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إوان بحذف يائه
لضرورة الشعر .

لم يبق من وفري إلا ذكرى ثم إلى اليوم هلم جراً^(١)
لولا عجوز لي بسر من را وأفرخ دون جبال بصرى^(٢)
قد جلب الدهر عليهم شرًا قتلت ياسادات نفسي صبرا

قال عيسى بن هشام . فأنلته ما تاح^(٣) وأعرض عنا فراح . فجعلت أنفيه
وأثبته ، وأنكره وكأني أعرفه ، ثم دللتني عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندري والله !
فقد كان فارقنا خشفاً^(٤) ووافانا جلفاً^(٥) . ونهضت على أثره ، ثم قبضت على
خصره ، وقلت :

أست أبا الفح ؟ « ألم نربك فينا وليداً ، ولبت فينا من عمرك سنين ؟ »
فأى عجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك إلى ، وقال :

ويحك ! هذا الزمان زورُ فلا يغرنك الغرور^(٦)
لا تلتزم حالة ولكن در باليالى كما تدور

(١) الوفري : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشيء : التحدث عنه بعد زواله .
(٢) سر من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التي بناها المعتصم العباسي . شمال بغداد ،
وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هي التي يريد ، والثانية من بلاد حوران
بالشام . يعنى أن له أمماً أو زوجاً عجوزاً بسر من رأى ، وأولاداً صغاراً بقرب جبال بصرى ،
ولولا هؤلاء لقتل نفسه .

(٣) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .
(٤) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيراً .
(٥) الجلف الرجل الجافى .
(٦) الغرور : الدنيا . لأنها تغر بمظاهرها .

ثانيا - النثر العلى التالىفى

١ - ابن جنى^(١)

قطعة من كتابه « الخصائص » :

باب القول على اللغة وما هى ؟

أما حدُّها فإنها أصواتٌ يُعبَّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم . هذا حدُّها : وأما اختلافها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمواضعة^(٢) هى ، أم إلهام . وأما تصريفها ومعرفة حُرُوفها فإنها فَعْلَةٌ من لَغَوْتُ أى تَكَلَّمْتُ . وأصلها لُغَةٌ كَكُرَّةٍ وقَلَّةٍ^(٣) ونُبَّةٍ^(٤) كلُّها لاماتها واواتٌ ، لقولهم كَرَوْتُ بالكِرة ، وقلَوْتُ بالقَلَّة ، ولأنَّ ثبَّةَ كأنها من مقلوب ثاب يثوب . وقد دلَّلتُ على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى « سر الصناعة » وقالوا : لها لغاتٌ ولُغُونٌ ، ككُرَاتٍ وكُرُونٌ ، وقيل منها : لغى يلغى إذا هدَّى . قال :

ورُبَّ أسرابٍ حجيجٍ كظَّمٍ عن اللِّغا ورَفَّتِ التَّكَلِّم

وكذلك اللُّغو ، قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا مروا باللغو مروا كراما » أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صه فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف^(٥) .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (وكان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ١٩٢ هـ .

(٢) المواضعة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) الثبة : وسط ، يثوب إليه الماء من الجوانب . (٥) أى ما يكفى .

٢ — الجرجاني^(١)

فصل من كتابه « دلائل الإعجاز » :

وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيّد مع المؤكّد ، فلا يكون فيها العطف البتة ، لشبه العطف فيها — لو عطف — بعطف الشيء على نفسه ، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يُشاركه في حكم ، ويدخل معه في معنى : مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه ، فيكون حقها العطف ، وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء ، فلا يكون إتياء ولا مُشاركاً له في معنى ، بل هو شيء ، إن ذكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً ، وحق هذا ترك العطف البتة . فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية ، أو الانفصال إلى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين ، فاعرفه .

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذي نعرفه ، ولم يزد عليه السكاكي إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينها وتوفي سنة ٤٧١ هـ

٣ - الحريري^(١)

والحريري في كتابه « درة الغواص ، في أوهام الخواص » :
ويقولون : هذا بعد اللثيا والتي ، فيضمُّون اللام الثانية من اللثيا ، وهو لحنٌ فاحشٌ
وغلطٌ شائنٌ ، إذ الصوابُ فيها اللَّثِيَّا (بفتح اللام) لأنَّ العرب خصَّتْ أَلَذَى والتي
عند تصغيرها وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت
ألفاً في آخرها عوضاً عن ضمِّ أوَّلها ، فقالوا في تصغير الذي والتي : اللذِيَّا واللَّتِيَّا ،
وفي تصغير ذاك وذلك ذِيَّاكَ وذِيَّاكَ أنشد ثعلب :

بذِيَّاكَ الوادى أهيم ، ولم أقل بذِيَّاكَ الوادى وذِيَّاكَ من زهد
ولكن إذا ما حُبَّ شَيْءٌ تَوَاعَتْ به أحرفُ التصغير من شدة الوجد
أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة . كما يقال : يا بُنَيَّ ، يا أُخِيَّ .
وقوله : إذا ما حُبَّ شَيْءٌ يعنى به أحبُّ لأنه يقال حُبَّ الشَيْءِ وأَحَبَّهُ بمعنى^(٢) ،
كما جاء في المثل السائر : من حَبَّ طَبَّ^(٣) ، إلا أنَّهم اختاروا أن بنَوْا الفاعل
من لَفْظَةِ أَحَبَّ ، وَبنَوْا المفعول من لَفْظَةِ حَبَّ ، فقالوا للفاعل : مُحَبَّبٌ ، والمفعول
محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع
في المفعول محب ، وعليه قول عنقرة :

ولقد نزلت فلا تظنِّي غيرهُ مني بمنزلةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ

(١) هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء .
توفي سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره « المقامات » المعروفة باسمه .

(٢) أى بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتى للامور وتلطف . أى من أحب شيئاً استعمل الأناة والرفق .
واستخدم الحيلة رغبة في الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سهرنا البارحة ، وسَرَيْنَا البارحة . والاختيار في كلام العرب — على ما حكاه ثعلب — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سَرَيْنَا الليلة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سهرنا البارحة .

ويتفرع على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال صُبِّحْتَ بخير ! وكيف أَصْبَحْتَ ؟

٤ — المسعودي^(١)

قطعة من مقدمة كتاب « التنبيه والإشراف » :

وقد ذكرنا في كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التي هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه ، ولم نُخله من دلائل تعضدها ، وبراهين تؤيدها عقلاً وخبراً ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر ، وشاهد من الشعر على حسب الشيء المذكور وحاجته إلى ذلك . ونحن وإن كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ، وأيامنا بعيدة عن أيامهم فخرجوا إلا نقصّر عنهم في تصنيف نقصده ، وغرض نؤمّه^(٢) ، وإن كان لهم سبق الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ، وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخر أحسن تأليفاً ، وأتقن تصنيفاً لحفكة التجارب ، وخشية التنبع ، والاحتباس من مواقع الخطأ . ومن ههنا صارت العلوم نامية

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البجائي أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، سليل عبد الله بن مسعود الصحابي صاحب كتاب مروج الذهب . والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان . وله كثير من الكتب غيرها . توفي سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نؤمّه : نقصد إليه .

غير متناهية لوجود الآخر ما لا يحده الأول ، وذلك إلى غير غاية محصورة ، ولا نهاية محدودة ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك فقال : « وفوق كل ذي علم عليم » ؛ على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين ، وتعظيم كتب السالفين ، ومدح الماضي ، وذم الباقي . وإن كان في كتب المخدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة^(١) . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم فينسبُهُ إلى نفسه فلا يرى الأسماع تُصغى إليه ولا الإرادات تيمُّ نحوه . ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبةً وأقل فائدة ، ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرها من المتقدمين ، ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها^(٢) ، ويسارعون إلى نسخها لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدمين ، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم ، ومنافسته على المناقب التي يخص بها ويعنى بتشبيدها . وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من العدل ، ووفّوه قسطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصاً ، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائداً . فمثل هؤلاء تُصنّف الكتب وتدوّن العلوم ، وسنذكر الآن الأمم السبعة في سابق الدهر ولغاتهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك .

(١) العائدة : المنفعة .

(٢) الكتب : الكتابة .

٥ - الماوردي^(١)

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فهو في السياسة أوفى شرطينها ، وفي لوازرة أكفى نظريها ، لظفر الإقدام ، وخيبة الإحجام . وقد قيل في منشور الحكم : بالإقدام ترتفع الأقدام ، وإنما يجب الإقدام إذا ظهرت أسبابه ، وقصدت أبوابه ، في إبانته ، وعند إمكانه ، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابهِ ضللت وإن تقصدت إلى الباب تهتدى

ثم يجمع بعدها بين حزمه وعزمه ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأي ، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها ، فإذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة لم يمنع من الظفر إلا عوائق القدر . وقد قيل في قديم الحكم : إذا طلب أثنان حظاً ظفر به أفضلهما ديناً . فإن استويا في الدين ظفر به أفضلهما مروءةً ، فإن استويا في المروءة ظفر به أكثرهما أعواناً ، فإن استويا في الأعوان ظفر به أسعدهما جدّاً . فإن انشلم من شروط الإقدام أحدها صار الإقدام تغريراً يمنع من حزم ذي اللب ، ويصدّ عن الظفر ، ما لم يغلب قدر ، فما الأقدار بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ

وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير . وهما مطبوعان ، وله كثير من الكتب غيرها .

يحول بين الحازم وطلبته . وقد قيل ليزرُ جهر : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل وإكداء^(١) العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير ! ما الذى لا يُحتاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له ، الدولة^(٢) ، فقال : صدقت . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منشور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

٦ — ابن حمدون^(٣)

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ، وهو فى سياسة الوزراء

والكتاب وأتباع السلطان

قالوا : من صحب الملوك وقرب منهم ، ينبغي أن يكون جامعاً للخلال الحمودة ؛ فأولها العقل ؛ فإنه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمار العقل ، ولا تليق صحبة الملك بأهل الجهل . والود ، فإنه خلق من أخلاق النفس ، يؤلده العدل فى الإنسان الذى ودّه . والنصيحة ؛ وهى تابعة للود ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاء ؛ فإنه شيمة لا تتم الصحة إلا بها . وحفظ السر ، وهو من صدق الوفاء . والعفة عن الشهوات والأموال . والصّرامة ، وهى شدة القلب ، فإن الملوك

(١) أ كدى : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق فى الغلبة والحظ . ودول الأيام : تقلباتها التى تعين الرجل يوماً وتعين عليه يوماً .

(٣) هو كافى الكفاءة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والدياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

لا يصحبهم أولو النكول ، ولا ينالُ الجسمَ من الأمور إلا الشجاع النجد .
والصدق ؛ فإنه من لا يصدق يكذب ، ومضرة الكذب لا تتلافى . وحسن الزى
والهيئة ؛ فإن ذلك يزيد في بهاء الملك . والبشرُ في اللقاء ؛ فإنه يتألف به قلب
من يُلاقيه ، وفي الكلوح^(١) تنفير عن غير ريبة . والأمانة فيما يُستحفظ . ورعاية
الحق فيما يُستودع . والعدل والإصاف ؛ فإن العدل يُصلح السرائر ، ويجمّل
الظواهر ، وبه يُخاصم الإنسان نفسه إذا دعه إلى أمر لا يحسن رُكوبه . وينبغي
له أن يجانب أصدقاء هذه الخلال ، وألا يكون حسوداً ، فإن الحسد يُفسد ما بينه
وبين الناس ، ولْيُفرّق بين الحسد والمنافسة ؛ فإنهما يشتبهان على من لا يعقل .
وأن يخلو من اللجاج والمحك^(٢) ؛ فإن ذلك يضرّ بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك .
وألا يكون بذّاحاً^(٣) ولا متكبراً ، فإن البذخ من دلائل سقوط النفس وشدة
الطيش والبعد عن الصبر .

وينبغي ألا يكون قدماً^(٤) وخجاً^(٥) ولا ثقیلاً الروح ؛ فإنها صفة لا تليق
بمن يُلاقى الملوك ، وأبدأ تكون سبباً للمقت من غير جرم ، وبالجملة فالفضائل
والأخلاق الحمودة كثيرة ، وأولى الناس بطلب غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ،
ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

(١) الكلوح : الإفراط في العبوس والكشر عن الأنياب .

(٢) المحك : التمدى في اللجاجة عند المساومة . والمشارة والمنازعة في الكلام .

(٣) البذخ : للتعظيم المتكبر يظهر التعالي على الناس .

(٤) القدم : العاجز عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب في مصر والشام

(١) الشعر

١ - المتنبي^(١)

قال في صباه من قصيدة :

أَرَقُّ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّ
جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى : عَيْنٌ مُسَبَّدَةٌ ، وَقَلْبٌ يَخْفَقُ
مَا لَاحَ بَرَقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا أَنْزَلْتُ ، وَلِي فُؤَادٌ شَيِّقُ
جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِئُ نَارُ الْغَضَى ، وَتَسْكُلُ عَمَّا يُحْرِقُ^(٢)
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعَشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ
وَعَذَرْتَهُمْ ، وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَيَّرْتُهُمْ ، فَلَقِيتُ مِنْهُ مَا لَقُوا
أَبْنَى أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ أَبْدَأُ غُرَابَ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ^(٣)

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمختصرة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه أتهم وهو مقيم بينهم بأنه ادعى النبوة ، فسجنه وإلى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافور الإخشيدى . ثم هجاء ، وفر إلى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعصاب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفئ نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكفى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكى على الدنيا ، وما من معشر جَمَعْتُهُمُ الدنيا فلم يَتَفَرَّقُوا
 أين الأكَسَرَةُ الجَبَّارَةُ إلا كَنَزُوا الكَنُوزَ ، فما بقين ولا بقوا
 من كلِّ من ضاق الفضاء بحيشه حتى ثوى فحواه لحدٍّ ضيق^(١)
 خرُسٌ إذا نُدُوا ؛ كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلالٌ مُطلق
 فالموتُ آتٌ ، والنفوس نفائس والمستعزُّ بما لديه الأحق
 والمرء يأملُ ، والحياة شهية ، والشيبُ أوقرُ ، والشيبة أنزق
 ولقد بكيتُ على الشباب ولَمَّتْ مُسَوَّدَةٌ ، ولماء وجهي رونق^(٢)
 حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدتُ بماء جفني أشرق^(٣)

وقال من قصيدة يصف حرباً :

أتوك يجرُّون الحديد كأنما سَرَوْا بجياد ما لهم قوائم^(٤)
 إذا برقوا لم تعرف البيضُ منهم ثيابُهم من مثلها والعمائم^(٥)
 خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم^(٦)

(١) ثوى الرجل : هلك .

(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .

(٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ، ولكنه يبكى الشباب حذراً من زواله .

(٤) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٥) البيض : السيوف أى إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلول تميز السيوف منهم ، لأن ثيابهم من الحديد أيضاً ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضاً : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .

(٦) الخميس : الجيش . والجوزاء : برج في السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التي لا تفهم أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

- (١) تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ الْحُدُثَاتُ إِلَّا التَّرَاجِمُ^(١)
 فَلِلَّهِ وَقْتُ ذَوْبِ الْغَشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارُمٌ^(٢)
 تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْقَنَا وَفَرٌّ مِنَ الْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٣)
 وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٤)
 تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتُفْرِكُ بِاسْمٍ^(٥)
 تَجَاوَزْتَ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(٦)
 ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِيُّ تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
 بَضْرِبَ أَنْيَ الْهَامَاتِ ، وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ ، وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(٧)
 حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرَّمْحِ شَاتِمٌ^(٨)

- (١) اللسان : اللغة . والحداث : الجماعة يتحدثون . أى أنه مؤلف من أم مختلفة الألسن : كالروم ، والصقلب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .
 (٢) يريد بالغش : الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة ففلت وكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ، فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .
 (٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .
 (٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحي انطباق الجفن على العين ، بما لا يجعل للمرء مجالا للشك فى أن الموت واقع لا محالة ، فكان ينبغى لمن هذه حاله أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .
 (٥) كللى : مجروحة مهزومة ، فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحا وتفرِكُ باسمًا تقابل الموت مستبشرا أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .
 (٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .
 (٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى اللبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائبا ، وبعده جاء النصر .
 (٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف شرف . فالشجيمان تقاتل بالسيوف ، لأنها لا تنالى مقارنة الأعداء

ومن طلب الفتح الجليل فائما مفتاحه البيض الخفاف الصوارم
 نثرهم فوق الأحيدب^(١) نثرة كما نثرت فوق العروس الدرام
 وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربه للروم ، وبناء مرعشا^(٢) :
 فدينك من ربع ، وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
 وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
 نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا^(٣)
 نذم السحاب الغر في فعلها به ونعرض عنها كلما طلعت عتبا^(٤)
 ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت وكيف التذاذي بالأصائل والضحا
 وذكرته به وصلا كان لم أفز به إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبنا^(٥)
 وفتانة العينين قتالة الهوى وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا
 لها بشر الدر الذي قلدت به إذا نفت شيئا روائحها شبا
 فيا شوق ما أبقي ويالى من النوى ولم أر بذرا قبلها قلد الشهبنا^(٦)
 لقد لعب البين المشت بها وبى ويا دمع ما أجرى ! ويا قلب ما أصبى
 ومن تكن الأسد الضواري جدوده وزودنى فى السير ما زود الضبا^(٧)
 يكن ليله صبحا ومطعمه غضبا

(١) الأحيدب : جبل بجهة بلدة الحدث .

(٢) بلد بالشام قرب أنطاكية .

(٣) الأكوار : جماعة الإبل .

(٤) أى نذم السحاب لأنها عفت آثاره .

(٥) أى الذى هب قديما أيام كنا نسكنه مع الحبيب .

(٦) البشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد .

(٧) ما زود الضب : أى زودنى العدم ، لأن الضب يعيش فى البادية بلا ماء أو زودنى

الحيرة ، لأنه إذا خرج ضل .

ولست أبالي بعد إدراكى العُلا أكان زائناً ما تناولت أم كسبا
 فربّ غلامٍ علم المجد نفسه كتمليم سيف الدولة الدولة الضربا
 إذا الدولة استكفّت به فى مُلّة كفاها فكان السيف والكف والقلبا
 تُهابُ سيوفُ الهند ، وهى حدائد فكيف إذا كانت نزاريةً عُرُبا؟^(١)
 ويُرهب نابُ الليث ، والليث وحده فكيف إذا كان الليوثُ له صحبا؟
 ويُنخس عُبابُ البحر ، والبحرُ ساكنٌ فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبأ؟^(٢)
 عليمٌ بأسرار الديانات والافى له خطراتٌ تفضح الناس والكُتُبا^(٣)
 فبوركت من غيثٍ كان جلودنا به تُنبِتُ الديباج والوشى والعُصبا^(٤)
 ومن واهب جزلاً ، ومن زاجرٍ : هلا ، ومن هاتك درعا ، ومن نائر قُصبا^(٥)
 هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم وأنتك حزب الله صرت لهم حزبا^(٦)
 وأنتك رُعت الدهر فيها وريبه فإن شكّ فليُحدثُ باحتها خطبا^(٧)

-
- (١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل له ، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيف الدولة .
- (٢) عب : ماج وتحرك .
- (٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم ، لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .
- (٤) العصب . ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .
- (٥) هلا : لفظ تزجر به الحيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل ، ويזجر الحيل للقتال ، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فينثر أمعاءها
- (٦) هنيئاً حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .
- (٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضعير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام ، والكلام تحد للدهر .

فيوماً بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهم
سراياك تَتَرى والدُّمُستَقُ هارب
أتى مرعشاً يستقربُ البُعدَ مُقبِلاً
كذا يَتَرِكُ الأعداءَ من يكرهُ القنا
وهل ردَّ عنه باللقان وقوفه
مضى بعدَ ما التفتَ الرِّماحان ساعة
ولكنه وَلَّى وللطَّغَن سَوْرَةٌ
وخلى العذارى والبطاريق والقرى
أرى كُلَّنا يَبْغِي الحِياةَ لنفسه
حُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أوردَه البَقَا
ويختلفُ الرِّزقان ، والفعلُ واحدٌ ،
فأُضْحِتْ كَأَنَّ الشُّورَ من فَوْقِ بَدَنِهِ
تَصُدُّ الرِّياحُ الهُوجُ عنها مخافةً
وتردى الجيادُ الحردُ فوقَ جبالها

ويوماً بجُودٍ تطرُدُ الفقَرَ والجُدبا
وأصحابه قَتَلُوا وأمواله نُهِبَ (١)
وأذبرَ إذ أقبلت يستبعد القرباً
ويَقْفُلُ من كانت غنيمته رُعباً (٢)
صدر العوالى والمطهمة القبا (٣)
كما يَتَلَقَّى المَدْبُ في الرِّقْدَةِ المَدْبَا (٤)
إذا ذكَّرتُها نَفْسُهُ لَمَسَ الجَنبَا
وشعثُ النصارى والقرايين والصلبا (٥)
حريصاً عليها مُسْتَهَاماً بها صَبَا
وحُبُّ الشجاع النفسَ أوردَه الحَرْبَا
إلى أن ترى إحسانَ هذا لذاً ذنباً
إلى الأرض قد شقَّ السكواك والتُّربَا (٦)
وتفزع فيها الطيرُ أن تَلْقُطُ الحَبَا (٧)
وقد نَدَفَ الصَّنْبَرُ في طُرُقها العُطْبَا (٨)

- (١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبي : منهوبة .
(٢) يقفل : يرجع :
(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .
(٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .
(٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام ، جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .
(٦) أى من أعلاه إلى أدناه فقد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .
(٧) تصد : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلتقط الحب فيها لصعوبة ارتقاها .
(٨) وتردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد .
والعطب : القطن .

كَفَىٰ عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَىٰ مَرْعَشًا ؛ تَبًّا لِأَرَائِهِمْ تَبًّا (١)
 وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ الْحَذُورَ وَأَسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا
 لِأَمْرِ أَعْدَتِهِ الْخِلَافَةُ لِلْعَدَا وَسَمَّيْتَهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا
 وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ تَتْرُكِ الشَّامَ الْأَعَادَى لَهُ حُبًّا
 وَلَكِنْ نَفَاها عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ النَّشَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا (٢)
 وَجَيْشٌ يُثْنِي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقُ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنًا رَطْبًا (٣)
 كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَدَبَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبًا (٤)
 فَمَنْ كَانَ يُرْضَى الْوُثْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرَّيَّا

وقال يذكر قيام شبيب العقيلي : وكان خارجاً على كافور فأتته فجأة وهو
 يحاصر دمشق . وقيل : دس عليه كافور من سمه . وقيل : إنه ألقى عليه رحي
 من السور ، وهذه القصيدة من المدح المراد به الدم :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
 وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعَدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
 أَتَلْتَمَسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانٍ ؟
 رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدْرَ يُدْبِتَلِي بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانٍ
 بَرَغَمَ شَيْبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفَ كَفَهُ وَكَانَا عَلَى الْعَلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ (٥)

- (١) أي من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشا كأنهم لم يعرفوا قدرته .
 (٢) النشا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سوء .
 (٣) يثني : يميل ، يريد : التغلب عليه . والحريق : الريح الشديدة .
 (٤) مغاره : إغارته . والضمير في عجاجته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .
 (٥) العلات هنا : الأحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علاته ، أي على مافيه ، أو على
 كل حال .

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ : رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِيٌّ ^(١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَایَا غَايَةَ الْحَيَوَانِ ^(٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانٍ
فَنَالَتْ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشْهِي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَّانٍ ^(٣)
كَفَى وَقَعَ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ بَرْمُحِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالْذَّبَرَانِ ^(٤)
وَلَمْ يَدْرَ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرِ ^(٥)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأُضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانٍ
أَتَيْتَهُ الْمَنَایَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعَيَانٍ
وَلَوْ سَلَكَتُ طَرِيقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَنْسَاعِ جَنَانٍ
تَقْصِدُهُ الْمَقْدَارُ بَيْنَ صَحَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ ^(٦)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشَ الْكَثِيرَ التَّنْفَاهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ . وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي
فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقَسِيَّ وَإِنَّمَا عَنْ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانِ ؟ ^(٧)
وَمَا لَكَ تُغْنَى بِالْأَسْنَةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَانٌ بَغِيرِ سِنَانٍ ؟ ^(٨)

- (١) لما بين قيس واليمن من العصبية في الشام . (٢) الحيوان : الحياة .
(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكينة بلا سابق ألم ولا مرض .
(٤) أي أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا
النحوس السماوية من الكواكب أمثال الذبران وهو كوكب نحس كما زعموا .
(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار القدر . (٧) الثقلان : الإنس والجن .
(٨) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح .
والجد : الحظ .

وَلَمْ تَحْمَلِ السِّيفَ الطَّوِيلَ نِجَادَهُ وَأَنْتَ غَنَى غَنَاهُ بِالْحَدَثَانِ؟^(١)
أَرِذْ لِي جَمِيلًا جُدْتُ أَوْ لَمْ تَجْدُبْهُ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي
لَوْ أَلْفَكَ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ !

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًّا من كافور إلى الكوفة يهجوهم وقومه :

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ^(٢)
أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدُ^(٣)
لَوْلَا الْعُلَا لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجَنَاءَ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءَ قَيْدُودُ^(٤)
وَكَانَ أَطِيبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةٌ أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ^(٥)
لَمْ يَتْرِكِ الْأَدْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي شَيْئًا تُتَيْمَّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ
يَا سَاقِيَّ أَخْرُ فِي كُثُوسِكَمَا أَمْ فِي كُثُوسِكَا هُمُ وَتَسْهِيْدُ
أَصْخَرَةٌ أَنَا مَالِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ
إِذَا أَرَدْتُ كَمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا ، وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ^(٦)
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا أَنِي بِمَا أَنَا بَالِكٍ مِنْهُ مُحْسُودُ !

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة .

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الحلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : للضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلاء لم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسن الناعبات . وأشباه رونقه : أى اللواتى يشبهن السيف فى الرونق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكيمت اللون : الخمر .

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرَ خَازِنًا وَيَدًا أَنَا الْغَنِيُّ ، وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ ^(١)
 إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيفُهُمْ عَنِ الْقَرْيِ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ ^(٢)
 جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ ؛ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ !
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُدُ ^(٣)
 أَكَلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَهْمِيدُ ؟
 صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحَرْثُ مُسْتَعْبِدٌ ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَمَالِهَا فَقَدْ لَشَّمْنَ ، وَمَا تَفَنَّى الْعِنَاقِيدُ ^(٤)
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحَرْثٍ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَرْثِ مَوْلُودُ
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنْ الْعَبِيدَ لَا تُجَاسُّ مَنَاكِيدُ
 مَا كُنْتُ أَخْسَبُ أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسَى بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودُ
 وَلَا تَوَهَّمْتَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ قُتِدُوا وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ ^(٥)
 وَأَنْ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُسْقُوبَ مِشْفَرُهُ تَطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ ^(٦)

-
- (١) أروح : من الراحة . وخازنا ويذا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا ، ولكن يدي وخازني في راحة ، إذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمية .
- (٢) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .
- (٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فى يده عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقزرا من مس أبدانهم بيده .
- (٤) النواطير . حافظو الكروم بالطاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل وبشمن : أكلن فوق الشبع .
- (٥) كناه بأبى البيضاء ، وهى كنية العبيد سخريه منه .
- (٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللثيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعايد : جمع رعديد وهو الجبان .

جوَّعَانِ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي لَكِي يُقَالُ : عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ
 إِنْ أَمْرًا أَمَّةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ لِمُسْتَضَامٍ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْثُودُ^(١)
 وَيَلْمُهَا خَطَةً ! وَيَلْمُ قَابِلَهَا ! لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^(٢)
 وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعَمَ الْمَوْتَ شَارِبُهُ إِنْ الْمَنِيَّةُ عِنْدَ الذِّلِّ فَنَدِيدُ^(٣)
 مَنْ عَظَمَ الْأَسْوَدَ الْخَصِيَّ مَكْرُمَةً ؟ أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ ؟
 أَمْ أُذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدْرُهُ ، وَهُوَ بِالْفَلَسِّينِ مَرْدُودُ
 أَوْلَى اللَّثَامِ كَوَيْفِيرٌ بِمَعْذَرَةٍ فِي كُلِّ لَوْيْمٍ ، وَبَعْضُ الْعَذْرِ تَفْنِيدُ^(٤)
 وَذَلِكَ أَنَّ الْفَحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ ، فَكَيْفَ الْخَصِيَّةُ الشُّودُ ؟^(٥)

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَمُّ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ^(٦)
 مَالِي أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمِّ

(١) مَفْثُودُ : مَصَابٍ فِي فُؤَادِهِ . أَيْ إِنْ مِنْ يَدْبِرُهُ وَيَسُوسُهُ أُمِّثَلُ كَافُورِ الْخَصِي الْعَظِيمِ
 الْبَطْنِ الَّذِي يَشْبَهُ الْأُمَّةَ الْحُبْلَى لِسَخِينِ الْعَيْنِ فَاقِدِ الْعَقْلِ .

(٢) وَيَلْمُهَا : أَيْ وَيَلِ الْأُمِّهَا ، فَخَذَفَتْ أَلْفَ أَمْ تَوَسَّعَا ، وَجَعَلَتْ مَعَ الْوَيْلِ كَأَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ
 وَلَامُ وَيْلٍ : إِمَّا مَرْفُوعَةٌ أَوْ مَخْفُوضَةٌ بِنَقْلِ حَرَكَةِ هَمْزَةٍ أَمْ الْمَخْدُوفَةُ إِلَيْهَا عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَكْسِرُ هَمْزَةً
 أَمْ ، وَهِيَ سَبٌّ لِلْمَكْرُوهِ . وَالْخَطَةُ هُنَا : الشَّأْنُ وَالْحَالُ وَالْعَيْشَةُ . وَقَوْلُهُ : لِمِثْلِهَا الْحُ أَيُّ لِمِثْلِ
 الْخِلَاصِ مِنْهَا . وَالْمَهْرِيَّةُ : النُّوقُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى بِلَادِ مَهْرَةَ ، وَهِيَ كَرِيمَةٌ سَرِيعَةُ السَّيْرِ . وَالْقُودُ :
 جَمْعُ قَوَادٍ ، وَهِيَ الطَّوِيلَةُ .

(٣) الْقَنْدِيدُ : الْعَسَلُ مِنْ قَصَبِ السَّكَّرِ .

(٤) كَوَيْفِيرٌ : تَصْغِيرُ كَافُورٍ . وَالتَّفْنِيدُ : اللُّومُ وَالْمُؤَاخَذَةُ .

(٥) جَمْعُ خَصِيٍّ ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى خَصْيَانٍ .

(٦) الْهَاءُ فِي قَلْبَاهُ : لِلْسَّكْتِ ، وَاتِّصَالِهَا هُنَا بِمَا قَبْلُهَا مَعَ أَنَّهَا مُوَصُولَةٌ بِمَا بَعْدَهَا ضَعِيفٌ
 أَوْ هُوَ مَذْهَبُ كُوفِيٍّ . وَالشِّبْمُ : الْبَارِدُ . أَيْ مَا أَشَدَّ حَرَارَةِ قَلْبِي مِنْ حُبِّ الَّذِي يَرُدُّ قَلْبَهُ .

إِن كَانَ يَجْمَعُنَا حُبُّ لِفُرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ ^(١)
 قَدْ زَرَّتُهُ ، وَسَيُوفُ الْهِنْدِ مُعْمَدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، وَالسَّيُوفُ دَمٌ ^(٢)
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلَّهُمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشَّيْءُ
 فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمِمْتُهُ ظَفَرُ فِي طَيْهِ أَسَفٌ فِي طَيْهِ نَعِمٌ ^(٣)
 قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخُوفِ وَاصْطَنَعْتَ لَكَ الْمَهَابَةَ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهَمُ ^(٤)
 أَلَزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزَمُهَا أَلَا تُوَارِيهِمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ ^(٥)
 أَكَلَمَّا رُمْتَ جَيْشًا ؟ فَانْتَنَى هَرَبًا تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَمُّ ؟
 عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا
 أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوءًا سِوَى ظَفَرِي تَصَاخَتْ فِيهِ بَيْضُ الْهِنْدِ وَاللَّحْمِ ^(٦)
 يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ ، وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكَمُ
 أَعْيِذْهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّخْمَ فَيَمَنَّ شَحْمُهُ وَرَمَ
 وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عَنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظَّلَمُ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ ^(٧)

(١) الغرة : الوجه . أى ليتى يرعى كلامنا بقدر حبنا إياه .

(٢) أى أن خدمته فى حالى السلم والحرب .

(٣) أى أن فوت العدو وفراره منك ظفر لك فى ضغنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٥) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستتر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم ، بل يكفيك فرارهم ، والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٦) اللحم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز لشحمة الأذنين ، يريد الرؤوس .

٨ ٩ ، يريد بكلماته أشعاره .

- أَنَامُ مَلءُ جُفُونٍ عَنْ سُورَدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
 وَجَاهِلٍ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحْكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ
 إِذَا رَأَيْتَ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظَنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
 وَمُهْجَةٍ مَهْجَتِي مَنْ هَمَّ صَاحِبُهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمُ^(٢)
 رَجُلَاهُ فِي الرِّكْضِ رَجُلٌ، وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ^(٣)
 وَمُرْهَفٍ سِرَّتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
 فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرَاطُ وَالْقَلَمُ
 صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعِجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ^(٤)
 يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ^(٥)
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ
 إِنْ كَانَ سِرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجْرَحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةً إِنْ الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

- (١) شوارد الأشعار ، سوارثها وذائعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثاً ونقداً واجتلاباً وحفظاً ورواية .
- (٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتي أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .
- (٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجله معاً ويضعهما كذلك . وكذلك يده . وفعله فى الجرى يعنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحثه بها .
- (٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحرة (البركانية) .
- (٥) الوجدان : الوجود . أى لما فارقناكم كان كل شىء نجده فى حكم العدم .

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ؛ أنا الثريا ، وذان الشيب والهزم
 لمت الغمام الذي عندي صواعقه أرى النوى يقتضيني كل مرحلة
 لئن تركن ضميراً عن مياميننا ليخذهن إلى من عنده الدائم (١)
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا لا تستقل بها الوخادة الرسم (٢)
 شر البلاد مكان لا صديق به ليخذهن لئن ودعتهم ندم (٣)
 وشر ما قنصته راحتي قنص بأى لفظ تقول الشعر زعنفة
 وشر ما قنصته راحتي قنص بأى لفظ تقول الشعر زعنفة هذا عتابك إلا أنه مقة (٤)
 وقال في الحكمة :

إذا غمرت في شرف مرؤم فلا تقنع بما دون النجوم
 فطمع الموت في أمر جدير كطمع الموت في أمر عظيم
 ستبكي شجوها فرسى ومهرى صفائح دمعها ماء الجسوم (٥)
 قربن النار ، ثم نشان فيها كما نشأ العذارى في النعيم
 وفارقت الصياقل مخلصات وأيديها كثيرات الكلوم (٦)

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .

(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الذهاب إلى مصر من حلب .

(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .

(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه به الأرذال

والأوشاب .

(٥) المقة : الحب والعشق .

(٦) يريد بالصفائح السيوف ، ثم أخذ في وصفها الخ .

(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحذ السيوف . والكلوم جمع كلم ، وهو

الجرح أى وأيدي الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تُغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذُ الاذانُ منه على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أودّ من الأيام مالا تودّه (١)
يباعدن حبّاً يجتمعن ووصله
أبي خلقٍ لدنيا حبيباً تديمه
وأسرعُ مفعولٍ فعلت تغيراً
رعى الله عيساً فارقتنا وفوقها
بوادٍ به ما بالقلوب كأنه
إذا سارت الأحداجُ فوق نباته
وأشكو إليها بديناً وهي جنده (٢)
فكيف بحبٍ يجتمعن وصدّه (٣)
فما طلبي منها حبيباً تردّه ؟
تكلفُ شيء في طباعك ضده
مهاً كلها يولى بجفنيه خده (٣)
وقد رحلوا جيداً تنائرَ عقده (٤)
تفأوح مسكُ الغانيات ورنده (٥)

(١) أى أود منها ما لا توده من إنصافى وتنويلى مرادى ، وأشكو إليها فراقنا ، وهي عون من الفراق .

(٢) وصله وصدّه : معطوفان على الضمير في يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أى يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيض . والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية تشبه بها المرأة في حسن العينين . ويولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أى فارقتنا بوادٍ به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزيناً بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو للنار . أى إذا سارت الإبل حاملة لهن في الأحداج تفأوح مسكهن ونبات الرند بالوادي .

وحال كإحداهن رُمْتُ بُلُوغَهَا
وأَتَمُّ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ زَادِ هُمٍّ
فَلَا يَنْحَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلَّهُ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْجَدُّ كَفَّهُ
فَلَا تَجِدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قُلٌّ مَالُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنَّتَيْ مَالِهِ
يَرَى جَسَمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ

وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ^(١)
وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ^(٢)
فَيَنْحَلُّ تَجِدُّ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ ، وَالْمَالُ زَنْدُهُ^(٣)
وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قُلٌّ تَجِدُهُ
وَمُرْكُوبُهُ رَجْلَاهُ ، وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ
فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ^(٤)
عَلَيْكَ مَرَامِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ^(٥)

وقال في وصف الحياة والناس :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا
وَتَوَلَّوْا غِصَّةَ كُلِّهِمْ مِنْذُ
رُبَّمَا تَحْسَنُ الصَّنِيعَ لِأَيَالِيهِ
وَكُنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بَرِيبَ الدُّ
كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَفَاةً
وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
هـ ، وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا
هـ ، وَلَكِنْ تَكَدَّرُ الْإِحْسَانَا
دَهْرٌ ؛ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا
رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سَفَانَا^(٦)

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هذه النسوة في الصعوبة والامتناع
وتعذر الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع في الكف ، ومن الزند يستمد الكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتنميته .

(٥) التهجير : السير في الهاجرة وهي نصف النهار . والمهمه المكان الففر . والربد :

جمع أربد يريد بها النعام . أى لا عليك له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة : الريح . والسنان : رأسه الذي يطعن . وهو النصل .

ومُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تَتَعَادَى فِيهِ ، وَأَنْ تَتَفَانَى
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُبْلِقِي الْمُنَايَا . كَالْحَاتِ ، وَلَا يُبْلِقِي الْمَوَانَا
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْتَلِي لِحَيِّ لَعَدَدْنَا أَضْلَمْنَا الشُّجْعَانَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمَنْ الْعَجْزُ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا^(١)

٢ - أبو فراس^(٢)

قال في الشكوى والعتاب :

وَإِنِّي وَقَوْمِي فَرَّقْنَا مَذَاهِبُ وَإِنْ جَمَعْنَا فِي الْأَصُولِ الْمُنَاسِبُ
فَأَقْصَاهُمْ أَقْصَاهُمْ مِنْ مَسَاءَتِي وَأَقْرَبُهُمْ مِمَّا كَرِهْتُ الْأَقَارِبُ
غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُ مَا كَرَّ نَظَرِي وَحِيدٌ وَحَوْلِي مِنْ رَجَالِي عَصَائِبُ^(٣)
نَسِيبُكَ مِنْ نَاسَبَتْ بِالْوُدِّ قَلْبِي وَجَارُكَ مِنْ صَافِيَّتِهِ لَا الْمُصَاقِبُ^(٤)
وَأَعْظَمُ أَعْدَاءِ الرِّجَالِ ثِقَاتُهَا وَأَهْوَنُ مِنْ عَادِيَّتِهِ مِنْ تُحَارِبُ
وَمَا الذَّنْبُ إِلَّا الْعَجْزُ يَرْكَبُهُ الْفَتَى وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ حَارَبَتْهُ الْمَطَالِبُ
وَمَنْ كَانَ غَيْرُ السَّيْفِ كَافِلَ رِزْقِهِ فَلِلذِّلِّ مِنْهُ — لَا مَحَالَةَ — جَانِبُ

-
- (١) أى أن كل شيء صعب لم تصعب به النفس يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .
(٢) هو أبو فراس الحارث بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة أمير حاب وممدوح
المتنبي ، كان شاعراً أديباً فارساً . طالماً قاتل الروم بين يدي سيف الدولة أمير حلب ، وأسر
في إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من السكتب والقصائد
في إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة ، ثم فك أسره ، وسكن منبج مولياً عليها . ثم قتل
في ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .
(٣) عصائب : جماعات .
(٤) المصاقب : الذى داره بجانب دارك .

وقال في الحكم :

أنفق من الصبر الجميل ، فإنه لم يخش فقراً منفقاً من صبره
والمرء ليس ببائع في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره
وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم :
ومضطغن^(١) لم يحمل السر قلبه
تردى رداء الذل لما لقيته
ومن شرفي ألا يزال يعينني
رمثني عيون الناس حتى أظنها
ولست أرى إلا عدواً محارباً
فهم يطفئون المجد ، والله واقد
وهل يدفع الإنسان ما هو واقع
وهل لقضاء الله في الناس غالب
على طلاب العز من مستقره
إذا الله لم يحرزك مما تخافه
وأخر خير منه عندى المحارب^(٢)
وهم ينقصون الفضل ، والله واهب
وهل يعلم الإنسان ما هو كاسب
وهل من قضاء الله في الناس هارب
ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب^(٣)
فلا الدرع مناع ولا السيف قاضب^(٤)

وقال في وصف كتاب ورد عليه من صدق له :

ووارِدٌ مُورِدٌ أنساً يؤكدهُ صدوره عن سليم الورد^(٥) والصدر^(٦)
شدت سحائبه منه على نزه^(٧) تقسم الحسن بين السمع والبصر

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .

(٢) يريد الحسود المنافق الذي يبطن له العداوة . (٣) الطلاب : الطلب .

(٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .

(٥) ورد الماء والمكان : وصل إليه .

(٦) صدر عن المكان وعن الماء : رجع عنه إلى المكان الذي صار إليه .

(٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُدُوبَةٌ صَدَرَتْ عَنْ مَنْطِقِ جَدِّدٍ^(١) كَلِمَاءٍ يَخْرُجُ يَنْبُوعًا مِنْ الْحِجْرِ
وَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْفِكْرِ دَجَّهَا^(٢) صَوْبُ^(٣) الْقَرَائِحِ لَا صَوْبُ مِنَ الْمَطَرِ
كَأَنَّمَا نَشَرْتَ أَيْدِي الرِّبْعِ بِهَا بُرْدًا^(٤) مِنَ الْوَشْيِ^(٥) أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْخَبَرِ^(٦)

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب في جيش
ابن عمه سيف الدولة :

أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ^(٧) لَدَى الْوَغَى وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبْثُهُ مُغْمَرٌ^(٨)
وَلَكِنْ إِذَا حُمِّ^(٩) الْقَضَاءِ عَلَى أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ
وَقَالَ أَصِيحَابِي : الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلَاهُمَا مَرُ
وَلَكِنِّي أَمْضَى لِمَا لَا يَعْيُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ ، خَيْرُهُمَا الْأُسْرُ
يُمْنُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا عَلَى ثِيَابٍ مِنْ دِمَائِهِمْ حَرُ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالَى نُفُوسُنَا وَمَنْ يَخْطُبُ الْحُسْنَاءَ لَمْ يَغْلَهَا الْمَهْرُ

(١) سهل .

(٢) نقشها .

(٣) نزول المطر .

(٤) ثوب مخطط .

(٥) كثير الألوان .

(٦) برد يمان .

(٧) لا رماح معهم . مفردة : أعزل .

(٨) من لم يجرب الأمور .

(٩) نزل .

وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف الدولة :

أبى غَرْبَ هذا الدَّهرُ إلا تسرُّعاً ومكنونُ هذا الحُبِّ إلا نضوُّعاً
فلما استمرَّ الحُبُّ فى غُلُوِّه رَعَيْتُ مع المضياعة الغةَ ما رَعَى^(١)
فُحْزَنَى حُزْنَ الهائمين مُبرِّحاً وسرِّى سرُّ العاشقين مُضِيَّعاً
خَلِيلِي : لم لا تَبْكِيَانِي صَبَابَةً أُبْدِلُنَا بالأجرع الفرد أجراً^(٢)
علىَّ لمن ضنَّتْ علىَّ جُفُوُّه غواربُ دمعٍ بِشَمَلِ الحىَّ أجماً^(٣)
وهبَّتْ شَبَابِي ، والشبابُ مَضْنَةٌ لألْمَجِّ من أبناءِ عمى أروعا^(٤)
أبيتُ مُعْتَى من مخافة عَثْبِهِ وأصبحُ محزوناً ، وأمسى مُرَوَّعاً
فلما مضى عصرُ الشبيبة كُلهُ وفارقى شرحُ الشباب فودَّعاً
تطلَّبتُ بين العَثَبِ والهَجَرِ فُرْجَةً فحاولتُ أمراً لا يُرامُ مُنَمَّعاً
وصرتُ إذا ما رُمْتُ فى الخيرِ لَدَةً تتبعُمتُها بين الهمومِ نَتَبَّعاً^(٥)
وهأنَا قد حلَّى الزمانُ مفارقى وتوَّحنى بالشَّيبِ تاحاً مُرْصعاً
فلو أننى مُكَّنْتُ فيما أريدُه من العيشِ يوماً لم أجد فى موضعا
أما ليلةٌ تَمْضِي ولا بعضُ ليلةٍ أُسرُّ بها هذا الفؤادَ الموحعا
أما صاحبُ فرْدٍ يدومُ وفوُّه فيُصْنِى لِمَنْ أَصْنَى ، ويرعى لِمَنْ رَعَى
أبى كلَّ دارٍ لى صديقٌ أودَّه إذا ما تفقَّنا حفظُ وضيَّعاً

(١) الغلواء : الغلو والمضياعة : الكثير الإضاءة والغر : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء
(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع مكاناً غيره . يريد هل نسيتماني واتخذتما بدلى حبيباً آخر ؟

(٣) أى أنى أبكى على من لا يبكى على بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة .

(٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم .

(٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

إذا خفتُ من أخوالى الروم خُطَّةً تخوّفتُ من أعماهى العرب أربعا
وإن أوجعتنى من أعادى شيمَةً لقيتُ من الأحباب أدمى وأوجعا
ولو قد رجوت الله لا ربَّ غيره رجعتُ إلى أعلى ، وأملتُ أوسعاً^(١)
لقد قنعوا بعدى من القطر بالندى ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا^(٢)
وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله ولكن يُرجى الناسُ أمراً موقعا^(٣)
تفكر سيفُ الدين لما عتبتُهُ وعرض بي تحت الكلام وقرعا
فقولا له ، يا صادق الودّ إننى جعلتك ممّا رابنى منك مفزعا
ولو أننى أكننتُهُ فى جوانحى لأورق ما بين الضلوع وفرعا^(٤)
فلا تغترر بالناس ، ما كلُّ من ترى أخوك ، إذا أوضعت فى الأمر أوضعا^(٥)
ولا تتقلّد ما يروقُ جماله تقلّد إذا جرّبت ما كان أقطعا^(٦)
ولا تقبلنّ القول من كلِّ قائل سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا
ولله إحسانٌ على ونعمة والله صنّعٌ قد كفانى التصنعا
أرأى طرق المسكرُمت كما رأى علىّ وأسمانى على كل من سعى^(٧)
فإن يكُ بطءٌ مرةً فلطالما تعجّلُ بي نحو الجميل فأسرعا

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت إلى أعلى مراتبى وأملت أوسع مؤمل .

(٢ و٣) أى أن أهلى ونسوتى قنعوا بغيرى بمن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وإنما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عند غيبتى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقه ، أى أننى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجلب كتمانك الحقد والعداوة . فالمسارعة بإظهار المؤاخذه أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراءً سريعاً .

(٦) ولا تتقلّد ما يروق الخ : أى لا تتقلّد شيئاً جميلاً المنظر غير قاطع .

(٧) وصف الدولة وهو اسمه .

وإن يَجْفُ في بعض الأمور فإنني لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ النسّ بعدى فلم يزلْ بذاك البديل المُستجدّ مُمتعاً^(١)

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسرى عاتبه على تباطئه في فكاهه :

وأبطأ عني والمنايا سريعة	وللموت ظفرٌ قد أطلّ ونابُ
فإن لم يكن وُدٌّ قريبٌ نعدُّه	ولا نسبٌ بين الرجال قراب ^(٢)
فأخوطُ للإسلام ألا يُضيعني	ولى غفه فيه حوطة ومناب ^(٣)
ولكنني راضٍ على كلّ حالةٍ	لعلّ أيُّ الحالتين صواب ؟
وما زلتُ أرضى بالقليل محبةً	لديه ، وما دون الكثير حجاب
وأطلبُ إبقاءً على الودّ أرضه	وذكري منى في غيرها وطلاب ^(٤)
كذاك الودادُ الحض . لا يُرتجى له	ثوابٌ ، ولا يُخشى عليه عقاب
وقد كنتُ أخشى الهجر والشمل جامع	وفي كلّ يوم لُقيّةٌ وخطاب
فكيف وفيما بيننا مُلكٌ قيصرٍ	وللهجر حولى زخرةٌ وعُبابُ
أمنٌ بعد بذل النفس فيما تريده	أثابُ بمرّ العتب حين أثاب ؟
فليتّك تحلّو ، والحياةُ سريرةٌ	وليتّك رضى والأنام غضاب
وليت الذي بيّني وبينك عامرٌ	وبيّني وبين العالمين خراب
إذا صحّ منك الودّ فالكلُّ هينٌ	وكلُّ الذي فوق الثراب تراب

(١) أى وإن يستجد سيف الدولة قائداً ونصيراً آخر بعدى فإنى أدعو له بأن يظل ممتعاً

(٢) القرباب : المقارب .

(٣) أى إذا لم ينقذنى الود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للإسلام فإنى أخوطه وأنوب عنه فى الدود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاءً على وده . وإلا فإن مجرد ذكرى فى أرض غيرها هو منية أهلها وطلبهم .

٣ - أبو العلاء المعري^(١)

قال في الفخر :

أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا فعانِدُ من تطيقُ له عناداً^(٢)
وما نهَّهتُ عن طلب ، ولكن هي الأيام لا تُعطى قياداً^(٣)
فلا تَلُمُ السوابق والمطايا إذا غرضُ من الأغراض حاداً^(٤)
لعلك أن تُشنَّ بها مُغارا فتنبجح أو تُجشِّمها طراداً^(٥)
مُقارعةً أحجَّتْها العوَالى مُجَنَّبَةً نواظرها الرُّقاداً^(٦)
تلومُ على تبلُّدها قلوبُ تُكابِدُ من معيشتها جهادا
إذا ما النَّارُ لم تُطعم ضراماً فأوشكُ أن تُمرَّ بها رَماداً
فظنُّ بسائر الإخوان شرّاً ولا تأمنُ على سرِّ فؤاداً
فلو خبرتهمُ الجوزاءُ خبري لما طلعت مخافةً أن تُكادا
تجنَّبْتُ الأنامَ ؛ فلا أواخى وزدتُ عن العدو ؛ فلا أعادى

(١) أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعري الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبيّاً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار علماً في الاشتهار ، ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له بها العيش ، فرجع إلى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذى روح وما يخرج منه . وتشبث بآراء في الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيراً من الشبه في عقيدته وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعراً كثيراً ومؤلفات عدّة ورسائل مختلفة .
(٢) العنقاء : طائر يعرف باسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، ولأوليين فيه مزاعم شتى .
(٣) نهَّهت : كففت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والإبل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضاً آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة . وموضع الشن : تفرُّ به في الحمل على الأعداء ومطاردتهم من كل جهة .

(٦) الأحجة : جمع حجاج وهو العظم الذى فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

ولما أن تجهمني مرادى جريت مع الزمان كما أرادا^(١)
وهوتت الخطوب على حتى كاني صرت أمنيحها الودادا
أنكرها ومنبتها فوادى وكيف تنكر الأرض القتادا؟^(٢)
فأي الناس أجعله صديقا وأي الأرض أسلكه أرتيادا ؟
ولو أن النجوم لدى مال نقت كفاي أكثرها أنتقادا
كأن في لسان الدهر لفظ تضمن منه أغراضا بعبادا
يكررن لي فهمني رجال كما كررت معني مستعبادا
ولو أني حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد أنفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا^(٣)
وكم من طالب أمدى سيلقي دوين مكاني السبع الشدادا^(٤)
يؤجج في شعاع الشمس نارا ويقدح في تلثبها زنادا^(٥)
ويطعن في علای ، وإن شئني ليأنف أن يكون له نجادا^(٦)

-
- (١) تجهمه : تنكر له وعبس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .
(٢) القتاد : نوع من الشوك .
(٣) تنتظم : تعم .
(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أي : سيجد مسافات شاسعة قبل أن يجد منزلي .
(٥) أي أن من يسابقني ويباريني في المجد لا يدركني ، بل يكون مثله كمثل من يؤحج نارا يكيد بها الشمس .
(٦) شمع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والى تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهِرُ لِي مودَّتَهُ مَقَالًا وَيُبْغِضُنِي ضَمِيرًا وَأَعْتَقَادًا
 فَلَا وَأَبْيَكَ مَا أَخْشَى أَنْتَقَاصًا وَلَا وَأَبْيَكَ مَا أَرْجُو أَرْذِيَادًا !
 لِيَ الشَّرْفُ الَّذِي يَطَّأُ الثَّرِيًّا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَرَ الْعِبَادَا
 وَكَمْ عَيْنٌ تَوَقَّلُ أَنْ تَرَانِي وَتَفْقَدَ عِنْدَ رُؤْيِي السَّوَادَا ^(١)
 وَلَوْ مَلَأَ الشَّهَاءُ عَيْنِيهِ مِنِّي أَبْرَّ عَلَى مَدَى زُحَلٍ وَزَادَا ^(٢)
 أَفَلَّ نَوَائِبِ الْأَيَّامِ وَحَدَى إِذَا جَمَعَتْ كِتَابُهَا احْتِشَادَا ^(٣)
 وَقَدْ أَثْبَتُ رَجُلِي فِي رِكَابِ جَعَلْتُ مِنَ الزَّمَاكِ لَهُ بَدَادَا ^(٤)
 إِذَا أَوْطَأَتْهَا قَدَمِي سُهَيْلٍ فَلَا سَقَيْتُ خُنَاصِرَةَ الْعَهَادَا ^(٥)
 كَأَنَّ ظِلْمَاءَهُنَّ بَنَاتُ نَعَشٍ يَرْدُنَ إِذَا وَرَدْنَ بَنَى الثَّمَادَا ^(٦)

(١) سواد العين : الحدقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقة ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتجرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر في الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أفل النوائب : أهرمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الخيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت مساء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثمد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركائبي العطاش حين ترد هذه الثمد مثل الكواكب المسماة بنات نعش في تفرقها .

ستمعجبٌ من تغشُّمِها ليالٍ تُباريها كواكبُها سُهاداً^(١)
 كأنَّ فيجَاجِها قدَّتْ حبيباً فصيرت الظلامَ لها حدادا
 وقد كتبَ الضَّريبُ بها سُطوراً فخلتُ الأرضُ لابسَةً بجادا^(٢)
 كأنَّ الزُّبرقان بها أسيرٌ يُجَنَّبُ لا يُفكُّ ولا يُفادى^(٣)
 وبعضُ الطاعنين كقرنِ شمسٍ يغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا
 ولكنَّ الشَّباب إذا تولى فجعلُ أن ترومَ له ارتدادا
 وأحسبُ أن قلبي لو عصاني فعاود ما وجدتُ له افتقادا^(٤)

وقال بصف ديكا :

أيا « ديكٌ » عدت من أياديك^(٥) صيحة بعثت بها ميث الكرى وهو نائم
 « تكفت فقال الناسُ » أوس بن مغير^(٦) أو ابنُ « ربَّاح »^(٧) بالحملة قائم
 وفيك إذا ما ضيع النَّكس^(٨) غيرة^(٩) تُصانُ بها المستصحباتُ الكرائم^(١٠)

(١) التغشمر : التعسف .

(٢) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض ، والبجاد : الكساء المخطط .

(٣) الزبرقان : القمر ، أى كأن القمر أسر في هذه الأرض ، فليس له من فكاك ، فتطلع الشمس .

(٤) افتقاد الشيء : أن تطلبه في غيبته ، أى لم أطلبه حين غاب ، فأسر به حين عاود .

(٥) الأيادي النعم .

(٦) كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح .

(٧) هو بلال الذى كان يؤذن للنبي عليه السلام سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن في الإسلام .

(٨) الضعيف الدنى . (٩) الغيرة : الحمية والشجاعة .

(١٠) المستصحبات الكرائم ، يريد : الدجاج . والديك يدفع الأذى عما حوله من إناث الدجاج .

يُزَانُ لَدَيْكَ الطَّعْنُ فِي حَوْمَةٍ^(١) الْوَغَى^(٢) إِذَا زُيِّدَتْ لِلْعَاجِزِينَ الْمِزَانُ
عَلَيْكَ ثِيَابُ خَاطِطِهَا اللَّهُ قَادِرٌ بِهَا رِئْمَتُكَ^(٣) الْعَاطِفَاتُ الرِّوَامُ
وَتَاجُكَ مَعْقُودٌ، كَأَنَّكَ « هُرْمُزٌ »^(٤) يُبَاهِي^(٥) بِهِ أَمْلَاكُهُ^(٦) وَيُؤَامُّ^(٧)

وقال في وصف ليلة :

كَلَيْتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّنَجِ^(٨) عَلَيْهَا قَلَانْدٌ مِنْ جُحَانٍ^(٩)
هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي فِيهَا هَرَبَ الْأَمْنُ عَنْ فُؤَادِ الْجَبَانِ
وَكَأَنَّ الْهِلَالَ يَهْوَى الثَّرِيًّا^(١٠) فَهَمًّا لِلْوَدَاعِ مُعْتَنِقَانِ
وَسُهَيْلٌ كَوْجِنَةُ الْحُبِّ^(١١) فِي اللَّوْنِ وَقَلْبُ الْمُحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ
يَسْرَعُ اللَّحْمُ فِي أَحْمَارٍ كَمَا تُسْرَعُ فِي اللَّحْمِ مُقَلَّةُ الْغَضْبَانِ
ضَرْجَتُهُ^(١٢) دِمَاسِيُوفُ الْأَعَادِي فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ الشَّعْرِيَانِ^(١٣)
ثُمَّ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الْهَجْرِ فَعَطَى الْمَشِيبَ بِالزُّعْفَرَانِ
وَنَضَا^(١٤) فَجَرَّهُ عَلَى نَسْرِهِ^(١٥) الْوَا قَعَ سَيْفًا فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ

-
- (١) ميدان . (٢) الحرب . (٣) عطفت عليك .
(٤) الكبير من ملوك العجم . (٥) يفاخر . (٦) ملوكه .
(٧) يوافق . أى يماثل الملوك في لبسهم التيجان .
(٨) جبل من السودان . (٩) اللؤلؤ . (١٠) نجم في السماء .
(١١) سهيل : نجم . والحب . والحبيب .
(١٢) لطخته .
(١٣) نجمان .
(١٤) جرد .
(١٥) أحد النجوم .

وقال من قصيدة يرثي بها فقيها حنفياً ، وهي في ديوانه « سقط الزند » :

غَيْرُ مُجَدِّ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي	نُوحُ بِإِكِّ ، وَلَا تَرَنَّمُ شَادٍ ^(١)
وَشَبِيهٌ صَوْتُ النِّعَى إِذَا قِيدَ	سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكْتَ تِلْكَمُ الْجَمَاعَةُ أَمْ غَدَّ	تَ عَلَى فَرَعِ غُصْنِهَا الْمَيَّادِ
صَاحُ : هَذِي قُبُورُنَا تَمَلَّا الرَّخْ	بَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ ؟
خَفَّفَ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدَمَ أَلْ	أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ ^(٢)
وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْدَ	دُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سَرَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُؤْيَدًا	لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا	ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفْنٍ عَلَى بَقَايَا دَفْنٍ	فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدَانِ عَمَّنْ أَحْسَا	مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ ^(٣)
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ	وَأَنَارَا لِمُدَّجٍ فِي سَوَادِ ^(٤)

(١) أى صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحيان في بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) . القبيل : الجماعة وأنس الشيء أبصره .

(٤) المدج : السارى في الليل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأقول ، فهما مضيئان ثابتان إنما يدوران حول القطب الشمالى وحده .

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَعُ
إِنَّ حُزْنَاً فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
لِ إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ
صَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ
جِسْمُ فِيهَا ، وَالْعَيْشُ مِثْلُ الشَّهَادِ

وقال يفتخر :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ ،
أَعْنَدِي ، وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ
أَقْلُ صُدُودِي أَنْتِ لَكَ مُبْغِضٌ
إِذَا هَبَّتِ النَّكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ
كَأَنِّي إِذَا طَلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ ؛ فَمَنْ لَمْ
يُهِمَّ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ
عَقَافٌ ، وَإِقْدَامٌ ، وَحَزْمٌ ، وَنَائِلٌ
يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلٌ ؟
وَأَيْسَرُ هَجْرِي أَنْتِ عَنْكَ رَاحِلٌ ^(١)
فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ ^(٢)
وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْعَمَلُ وَالْفَضَائِلُ
رَجَعْتُ وَعَنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ ^(٣)
بِإِخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْؤِهَا مِتْكَامِلٌ ؟
وَيُثْقَلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ ^(٤)
لَا تَبِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

(١) يخاطب لأمته بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبي ريحين . أى إذا بعدت عنكم ، وأصبح بيني وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالي بقول العواذل .

(٣) طلت فقت وسموت . والطوائل : الترات ، أى كأن لهم ثأرا عندي يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعظمه المثل .

وَأَغْدُوْ وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَأُسْرِى ؛ وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَافِلٌ ^(١)
وَأِنِّى جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لِحَامُهُ وَنِضُوْ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ الصَّيَافِلُ ^(٢)
وَإِنْ كَانَ فِي لُئْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غَمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ
وَلَى مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لَى كُنْهَ مَنْزِلَى عَلَى أَنِّى بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنٍ نَازِلٌ ^(٣)
لَدَى مَوْطِنٍ بِشَتَاقِهِ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَقَانُلُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْرَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا تَجَاهَلَاتُ حَتَّى قِيلَ : إِنِّى جَاهِلُ
فَوَاعْجِبَا ! كَمْ يَدَّعَى الْفَضْلَ نَقْصٌ وَوَأَسْفَا ! كَمْ يُظْهِرُ الْمَقْصَ فَاضِلُ
وَكَيْفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا وَقَدْ نُصِبَتْ لِلْفَرْقَدَيْنِ الْحَبَائِلُ ^(٤)
يُنَافِسُ يَوْمَى فِيَّ أَمْسَى تَشْرِفًا وَتَحْسُدُ أَشْحَارَى عَلَى الْأَصَائِلِ
وَطَالَ اعْتِرَافَى بِالزَّمَانِ وَصَرَفَهُ فَلَوْ بَانَ عَضْدَى مَا تَأَسَّفَ مَنَـذَكِبَى
إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبَخْلِ مَادَرُ وَعَيَّرَ قُسًا بِالْفَهَامَةِ بَاقِلُ ^(٥)
وَقَالَ السَّهَى لِلشَّمْسِ : أَنْتِ خَفِيَّةٌ وَقَالَ الدُّحَى : يَا صُبْحُ لَوْ لَكَ حَائِلُ ^(٦)

(١) الصوارم : السيوف ، والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش العظيم وغدا : سار في الصباح وسرى : سار في الليل .

(٢) نضويمان : يريد سيف يمنى مهمل ، أنضاه الترك وأصداه .

(٣) السماكان : الرامح والأعزل نجمان في السماء .

(٤) الوكنات : جمع وكنة ، وهى موضع نوم الطير . والحبائل : جمع حباله ، وهى الشبكة تنصب لصيد الطائر ، يقول : إذا كان مثلى في فضله وعلوه الذى يشبهه بعلو النجوم في السماء . يكيد له الناس ولا يتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكاييد من يقل عني ، وليس له منعتى ومق ناله الناس النجوم بالأذى لم يأمن الطير على نفسه .

(٥) بان : انفصل . والمنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل طرف الذراع في الكف .

(٦) يريد بالطائى حاتما . ومادر : يضرب به المثل في البخل ، وقس بن ساعدة : أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وبقول يضرب به المثل في العي .

(٧) السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى .

وطاوتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرتِ الشَّهْبَ الحصى والجنادلُ
فيا موتُ زُرْ إِنَّ الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدِّي إن دهرَكَ هازلُ
إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ السَّعَادَةَ لم تُبَلْ وإنْ نَظَرْتَ شَزْرًا إِلَيْكَ القَبَائِلُ^(١)
فإن كنتَ تبغى العزَّ فابغِ توسُّطًا فعِنْدَ التَّنَاهَى يقصُرُ المتطاوُلُ
تُوقِ البُذُورُ النقصَ وهى أهلةٌ ويُدركُها النقصانُ وهى كواملُ

وقال فى ديوانه « لزوم ما يلزم » ؛ وهى قصيدة تتضمن كثيراً من
خاص آرائه :

غدوتَ مريضَ العَقْلِ والدِّينِ فَالْقَنِي لِتَسْمَعَ أنباءَ الامور الصَّحَائِحِ
فلا تأكلنْ ما أخرجَ الماءَ ظالماً ولا تَبْغِ قُوتًا من غَرِيضِ الذَّبَائِحِ^(٢)
وَأَبْيَضَ أُمَاتٍ أَرَادَتْ صرِيحُهُ لأَطْفَالِهَا دُونَ الغَوَانِي الصَّرَائِحِ^(٣)
ولا تَفْجَعَنَّ الطيرَ وهى غوافلُ بما وَضَعْتَ فالظلمُ شرُّ القَبَائِحِ
ودع ضَرْبَ النَّحْلِ الذى بَكَرَتْ لَهُ كواسِبَ من أزهارِ نبتِ فَوَائِحِ^(٤)
فما أحرزته كى يكونَ لغيرها ولا جَمْعُهُ للندى والمناسِجِ^(٥)
مَسَحَتْ يَدَى من كل هذا فَلْيَتَنِي أَبْهَتْ لَشَأْنِي قَبْلَ شَيْبِ الْمَسَائِحِ^(٦)

(١) لم تبَل : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشد عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة
الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر
الشزر ، نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لا تأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب .

(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان :
والأخرى للناس . والغوانى الصرائح : الخالصات الحسن .

(٤) الضرب : العسل

(٥) الندى : الجود والكرم . والمناسج جمع منيعة ، وهى ما تعطى فضلا وتكرما .

(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذرابة الشعر .

بَنِي زَمَنِي هَلْ تَعْلَمُونَ سِرَّائِي ؟ وَلَكِنِّي بِهَا غَيْرُ بَاطِحٍ
 سَرَيْتُمْ عَلَى غَيٍّ ؛ فَهَلَا اهْتَدَيْتُمْ بِمَا خَبَّرَتْكُمْ صَافِيَاتُ الْقَرَائِحِ
 وَصَاحَ بِكُمْ دَاعِي الضَّلَالِ ، فَمَا لَكُمْ أَجَبْتُمْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ كُلَّ صَاحِحٍ ؟^(١)

فَإِنْ تَرَشَّدُوا لَا تَخْضِبُوا السَّيْفَ مِنْ دَمٍ وَلَا تُلْزِمُوا الْأُمِّيَالَ سَبْرَ الْجَرَاحِ^(٢)
 وَيُعْجِبُنِي دَأْبُ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا سَوَى أَكْلِهِمْ كَذَّالِ الْنفُوسِ الشَّحَّاحِ
 وَأُظْيِبُ مِنْهُمْ مَطْعَمًا فِي حَيَاتِهِ سُعَاةَ حِلَالٍ بَيْنَ غَادٍ وَرَاحٍ
 فَمَا حَبَسَ النَّفْسَ الْمَسِيحُ تَعَبُدًا وَلَكِنْ مَشَى فِي الْأَرْضِ مَشْيَةً سَاحِحٍ
 يُغَيِّبُنِي فِي التُّرْبِ مَنْ هُوَ كَارَةٌ - إِذَا لَمْ يُغَيِّبْنِي - كَرِيهُهُ الرَّوَّاحِ^(٣)
 وَمَنْ يَتَوَقَّى أَنْ يُجَاوِرَ أَعْظَمًا كَأَعْظَمِ تِلْكَ الْمَالِكَاتِ الطَّرَاحِ
 وَمَنْ شَرُّ أَخْلَاقِ الْأُنَيْسِ وَفَعْلِهِمْ خَوَارُ النَّوَاعِي وَالتَّيْدَامُ النَّوَاعِ^(٤)
 وَأَصْفَحُ عَنْ ذَنْبِ الصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ لَسَكْنَايَ بَيْتِ الْحَقِّ بَيْنَ الصَّفَاحِ^(٥)
 وَأَزْهَدُ فِي مَدْحِ الْفَتَى عِنْدَ صَدَقِهِ فَكَيْفَ قَبُولِي كَاذِبَاتِ الْمَدَاحِ

(١) على ما خيلت : أي كما اتفق دون إمعان فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : المرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشيء : امتحانه واختباره . ينهى على الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أي إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخنقني فأموت ، فإنني لا بد ميت بانقضاء أجلي المحتوم ، ويومئذ يدفنني من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعي : جمع ناعية . والتدَامُ النَوَائِحُ : ضربهن صدورهن في النياحة . والأنيس يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفسُ اللجوجُ مطيَّةً إلى أن غدتْ إحدى الرذايا الطلائح^(١)
وما ينفعُ الإنسانَ أنْ غمَّأتما نسُحٌ عليه تحت إحدى الضرائح^(٢)
ولو كان في قُربٍ من الماءِ رغبةٌ لنافَسَ ناسٌ في قُبورِ البطائح^(٣)

وقال في ديوانه « لزوم ما لا يلزم » يصف الحياة الدنيا :

أصاح : هي الدنيا نُشابهُ ميَّنةً ونحنُ حوالِها الكلابُ النوايحُ
فمن ظلَّ منها آكلاً فهو خاسِرٌ ومن عادَ عنها سَاغِباً فهو راجح^(٤)
ومن لم تُبيَّتهُ الخطوبُ فإنَّه سيَصْبَحُه من حادث الدهر صابح^(٥)

وقال في هذا المعنى :

دنياك دارٌ إنْ يكنْ شُهَّادها عقلاء لم يبكوا على غيَّابها
قد أظهرتْ نوباً تزيدُ على الحصى عدداً وكم في ضئبها وغيَّابها^(٦)
تفريهمُ بسـيوفها وتكبِّهمُ برماحها وتنالهمُ بصـيَّابها^(٧)
ما الظافرون بعزها ويسارها إلا قريباو الحال من خيَّابها

-
- (١) الرذايا . جمع رذية ، وهى الضعيفة الهزيلة من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .
(٢) ينكر على الناس دعاءهم الموتى بالسقيا .
(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهى المسيل الواسع .
(٤) الساغب : الجائع .
(٥) بيته : فاجأه ليلاً ، أى : إذا تركته المصائب ليلاً لم تتركه نهارة ، فلا مفر منها .
(٦) الضبن : ما بين الكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة ، وهى ما تجمع فيه الثياب يريد أن فى أحضانها وطواياها نواب تزيد على ما أظهرت .
(٧) تفريهم : تشقههم وتقطعهم ويريد بالصيَّاب : السهام الصائبة .

وقال أيضاً :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على برآياها وأجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها أظلم من ناسها

وقال في الحكمة :

نهاني عقلي عن أمورٍ كثيرةٍ وطبعي إليها بالغريرة جاذب
ومما أدام الرزء تكذيبُ صادقٍ على خبرةٍ منّا ، وتصديقُ كاذبٍ !

وقال أيضاً :

ضحكنا وكان الضحك منّا سفاهةً وحقّ لسكّان البرية أن يبّكوا
يُحطّمنا ريب الزمان كأننا زُجاجٌ ، ولكن لا يُعاد له سبك

وقال يصف التدين الكاذب :

سبّح ، وصلّ ، وطف بمكة زائراً سبّعين لا سبّعاً فلست بفاسك
جهل الديانة من إذا عرضت له أطماعه لم يُلف بالمتماسك^(١)

وقال في انطباع الناس على الشر :

لو يفهم الناس ، لو أبناؤهم جلبوا وبيع بالفلس ألف منهم كسدوا^(٢)
فويحهم بئس ما ربّوا وما حضنوا فهي الخديعة والأضغان والحسد
وهكذا كان أهل الأرض مذفطروا فلا يظنّ جهول أنهم فسدوا

(١) أي : ليس كل العبادة أن تصلي وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتم بإمساك النفس من أن تطمح فيما هو غير حقها .

(٢) يتمنى لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيداً يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

وقال في مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرَأَى لِبَنَى آدَمَ وَكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَعْذِبُ
مَا فِيهِمْ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجْذِبُ
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلُمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ

٤ - كشاجم^(١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَالَ النَّاسُ حَظَّهُمْ وَاخْطَأْتَنِي مَعَ أَسْتَحْقَاقِهَا الرُّتَبُ
وَعَاقَنِي عَنْ طَلَابِهَا أُصَيْبِيَّةٌ يَا بَنَى فِرَاقَهُمُ الْإِشْفَاقُ وَالْحَدَبُ^(٢)
وَلِي قَوَادِمُ لَوْ أَنِّي حَذَفْتُ بِهَا لِأَهْضَمْتَنِي ، وَلَسَكُنْ أَفْرُخِي رُغْبُ^(٣)
وَمَا التَّعَجُّبُ لَوْ أَنِّي ظَفَرْتُ بِهَا بَلْ فِي تَنْكِبِهَا اللَّأْوَاءُ ، يَا عَجَبُ !^(٤)
فَإِنْ يَكُنْ أَدَبٌ مِنْ رُبَّةٍ عَوْضًا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وقال يهجو عواده :

حَاءَتْ بَعُودٍ مِثْلَهَا نَاقِرٍ كَأَنَّهُ نَقْنَقَةُ الضَّفْدَعِ
مُضْطَرِبُ الْأُوتَارِ مَنْقُوضُهَا مَسْتَقْبِحُ الْمَدْفَعِ وَالْمَقْطَعِ^(٥)
يُودُّ مَنْ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهُ لَوْ فَقَدَ السَّمْعَ ؛ فَلَمْ يَسْمَعْ
وَأَقْبَلَتْ تَضْرِبُ غَيْرَ الَّذِي نَسْمَعُ ، وَالنَّعْمَةَ لَمْ تُتْبِعْ^(٦)
كَأَنَّمَا نَسْمَةُ تَأْلِفِهَا مُثَلَّثٌ مُخْتَلِفٌ الْأُضْلَعِ^(٧)

- (١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصافي الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ .
وكان من خدام سيف الدولة .
(٢) أضيبيّة : تصغير صبية ، جمع صبي .
(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أرغب ،
وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذي ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءه
الصغار .
(٤) اللأواء : الشدة .
(٥) أي الضرب في ابتدائه وفي انتهائه .
(٦) أي تخلط نعمة بأخرى .
(٧) أي أن حركة يدها بنقل الأوتار لا تنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نعمة واحدة .

وقال يتغزل .

جَعَلْتُ إِلَيْكَ الْهَوَى شَفِيعًا ، فلم تَسْمَعِ
وناديتُ مَسْتَطْعِفًا ، فلم تَسْمَعِ
أَتَارَكْتِي مُدْنَفًا أَخَا جَسَدٍ مُوْجِعٍ
ومغـرـرٍ بِي وَالدَّمُوعُ عٌ قَدْ أَحْرَقَتْ مَدْمَعِي (١)
أَحِينَ سَلَبْتَ الْفُؤَا دَ بِالنَّظَرِ الْمَطْمَعِ
جَفَوْتُ وَأَقْصَيْتَنِي فَهَلَّا وَقَلْبِي مَعِي ؟

٥ - أبو الفرج الببغاء (٢)

قال يصف كَتِيبَةً وقائدها :

ومَوْشِيَةٌ بِالْبَيْضِ وَالزَّغْفِ وَالْقَنَا مُحَيَّرَةٌ الْأَعْطَافَ بِالضَّمَرِ الْقَبْ (٣)
بعيدة ما بَيْنَ الْجُنَاحَيْنِ فِي الشَّرَى قَرِيبَةٌ مَا بَيْنَ الْكَمِيَيْنِ فِي الضَّرْبِ
مِنَ السَّالِبَاتِ الشَّمْسِ ثُوبَ ضِيَائِهَا بَثُوبٍ تَوَلَّى نَسَجَهُ عَثِيرُ التُّرْبِ (٤)
يُعَاتِبُ نَشْوَانُ أَلْقَنَا صَابِي الظُّبَا إِذَا التَّقْيَا فِيهَا ، عَلَى قِلَّةِ الشَّرْبِ (٥)

(١) الدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر الخزومي المعروف بالببغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساج في أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهي الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودرع زغف أيضاً . شبه الكتيبة وما في وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى مجر الحوافي . (٤) العثير : الغبار .

(٥) أي تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتها .

أَعَادَتْ عَلَيْنَا اللَّيْلَ بِالنَّقَمِ وَالضُّحَى وَرَدَّتْ عَلَيْنَا الصُّبْحَ فِي اللَّيْلِ بِالشَّهْبِ
تَبَكَّجُ عَنْ شَمْسِي زَارٍ وَيَعْرُبُ وَتَفَرُّ عَنْ طَوْدِي عُلَا تَغْلِبُ الْغُلْبُ^(١)
مُوقِرَةً يَقْتَادُ ثَنِي زِمَامِهَا بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ الْكَرِيهِةِ فِي الْحَرْبِ
أَصَحَّ اعْتِزَامًا مِنْ خَوْنٍ عَلَى قَلِي وَأَنْفَذَ حُكْمًا مِنْ غَرَامٍ عَلَى صَبِّ

٦ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الصُّوْرِيُّ^(٢)

قال يهجو بعض من ضافه^(٣) :

وَأَخِ مَسَّهِ نُزُولِي بِقَرَحٍ مِثْلَمَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرَحُ
قِيلَ لِي : إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَالْفَقْرُ يَعْتَرِيهِ بِجُحْلٍ وَشَحْ
بِتُ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَّمَ اللَّهُ رُ ، وَفِي حُكْمِهِ عَلَى الْحَرِّ قُبْحُ
قَالَ لِي إِذْ نَزَلْتُ ، وَهُوَ مِنَ السَّكْرِ رَاةٌ وَالْهَمُّ طَفْحٌ لَيْسَ بِصَحْوِ :
لَمْ تَغْرَبْتُ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ه ، وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنُجْحُ
سَافِرُوا تَغْنَمُوا . فَقَالَ : وَقَدْ قَا لَ تَمَامَ الْحَدِيثِ : صُومُوا تَصِحُّوا ؟

وقال في وصف جميل يسبح في ماء :

رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَهُ رَاءُ مَاءٌ غَدَاً بِسَبْحٍ فِي مَاءِ
أَوْمَاتٌ مَالِلَةٌ إِلَى جَسَمِهِ فَكَادَ أَنْ يُذَيِّمَهُ إِيْمَائِي

(١) أى اجتمع فيها الزاريون والقحطانيون من العرب ، وتغلب وهي قبيلة سيف الدولة وتسمى تغلب الغلباء لشجاعتهما ، ويجمع الغلباء على الغلب .

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف

متغزل مات سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

٧ - تميم بن المعز الفاطمي العبدي^(١)

قال يصف قوارة في بستان :

وقاذفة بالماء في وسط بركة
إذا أنبقت بالماء سلته منضلاً
قد ألحفت ظلاً من الأيك سجسجا^(٢)
وعاد عليها ذلك النصل هو دجا^(٣)
تُحاول إدراك النجوم بقذفها
كان لها قلباً على الجو مخرجا

وقال أيضاً في الفخر :

ألقى الكمي فلا أخاف لقاءه
وأكره في صدر الحميس معانقا
ويزيدني كل الخطوب تعظماً
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق
وكما يمل الدهر من إعطائه
وكما يمر لمعشر بسعادة
فإذا رماك بشدة فأصبر لها
وسل الليالي عن نفاذ عزمي
تخبرك عني أنني لم ألقها
أصبحت لا أشتاق إلا للندي
وإذا السيوف قطعن كل ضريبة
ويقل إقدامي شبا الحدان^(٤)
للموت حين يفر كل جبان^(٥)
وتسلط الأيام عز مكان
ذرعا بأيامي وغدر زمان
فكذا ملأته من الحرمان
فكذا يكر لمعشر بهوان
فلسوف يأتي بعدها بليان^(٦)
وسل الحوادث عن ثبات جنائي
بين العزائم واهن الأركان
أبدأ ولا أهوى سوى الإحسان
قطع السيوف القاطعات لسان^(٧)

(١) هو أبو علي الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة لم يكن ولي عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان في الفاطميين كابن المعتز في بني العباس توفي سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذي لا حرف فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكمي : الشجاع المقاتل . والشبا جمع شبابة : وهي : الحد .

(٥) الحميس : الجيش .

(٦) الليان : اللين والرخاء .

(٧) الضريبة : المضروب .

وقال في الغزل :

شَبَّهَتْهَا بِالْبَدْرِ فَاسْتَضْحَكَتْ وَقَابَلْتُ قَوْلِي بِالْفُكْرِ
وَسَمَّهَتْ قَوْلِي ؛ وَقَالَتْ : مَتَى سَمَّجْتُ ؟ حَتَّى صُرْتُ كَالْبَدْرِ !
وَالْبَدْرُ لَا يَرْنُو بَعِينَ كَمَا أَرْنُو ، وَلَا يَنْسَمُ عَنْ ثَغْرِ
وَلَا يُمِيطُ الْمَرَطَ عَنْ نَاهِدٍ وَلَا يَشُدُّ الْعَقْدَ فِي نَحْرِ (١)
مَنْ قَاسَ بِالْبَدْرِ صِفَاتِي فَلَا زَالَ أُسِيرًا فِي يَدَيَّ هَجْرِي !

٨ — أَبُو الْحَسَنِ التَّهَامِيُّ (٢)

قال يرثي ابناً له مات صغيراً :

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَار مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَار قَرَار
بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يَرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَار
طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ ، وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ
وَمَكْلَفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ
فَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرِّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارٍ (٣)

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزاراً .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد التهامي . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء في الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوساً إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليخ الشعر بدويه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاؤه .

(٣) الشفير : حافة الشيء وطرفه . وهار : منهار ، أي فإنما تبني الرجاء على حافة كثيب منهار ، فلا يستقر بناء ، أي لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نَوْمٌ والمنيةُ يَظْفَرُ والمرءُ بينهما خيالٌ سار
والنفسُ إن رضيتُ بذلك أو أبتُ مُنْقَادَةٌ بِأَزْمَةِ المَقْدَارِ^(١)
فأقضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
وترا كضوا خيلَ الشَّبابِ ، وحاذروا أن تَسْتَرِدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ^(٢)
فالدَّهْرُ يَخْدَعُ بِالْمُنَى ، وَيَغُصُّ إِنْ هَنَى ، وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِبِوَارِ^(٣)
ليس الزمانُ وإن حَرَصْتَ مُسَالِمًا خَلَقَ الزمانُ عداوةً الْأَحْرَارِ

يا كوكبًا ما كان أقصر عمره وكذلك عمرُ كواكبِ الْأَسْحَارِ^(٤)
وهلال أيام مَضَى لم يَسْتَدِرْ بَدْرًا ، ولم يُمَهِّلْ لوقتِ سِرارِ^(٥)
عجل الخسوفُ عليه قبل أوامه فمجاه قبل مظنة الإبدار
واستلَّ من أترابه وَلِدَاتِهِ كالمقلة استلَّت من الْأَشْفَارِ^(٦)
فكان قلبي قَبْرُهُ ، وكأنه في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
إِنْ يُحْتَقَرُ صِغَرًا فَرُبَّ مُفَخِّمٍ يَبْدُو ضئيلُ الشَّخْصِ لِلنُّظَارِ
إِنَّ الْكَوَاكِبَ فِي عُلوٍّ مَحَلِّهَا لَتَرَى صَغَارًا وَهِيَ غَيْرُ صَغَارِ

-
- (١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .
(٢) وترا كضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .
(٣) أغصه : أذاقه الغصة ، وهى الهوان والحزن .
(٤) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة
وكمطارد كذلك قصيرة مدّة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسحبها ضوءها .
(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة
من الشهر . هى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .
(٦) الأتراب واللدات : من يولدن فى زمن واحد .

وَلَدُ الْمُعْزَى بَعْضُهُ ؛ فَإِذَا انْقَضَى بَعْضُ النَفَى فَالْكُلُّ فِي الْآثَارِ
أَبْكِيهِ ، ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِراً لَهُ : وَفَقَّتْ حِينَ تَرَكْتَ الْأُمَّ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي ، وَجَاوَرَ رَبِّي شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
أَشْكُو بِعَادِكَ لِي ، وَأَنْتَ بِمَوْضِعِ لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتَ فِيهِ سِرَارِي ^(١)
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْخُمْسَةِ الْأَشْبَارِ ^(٢)
هِيَهَاتَ قَدْ عَلِقَتْكَ أَشْرَاكُ الرَّدَى وَاعْتَاقَ عَمْرُكَ عَائِقُ الْأَعْمَارِ
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لَغَايَةً فَبَلَغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمَضَامِرِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
أُخْفِي مِنَ الْبُرْهَاءِ نَاراً مِثْلَمَا يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزَّنَادُ الْوَارِي ^(٣)
وَأُخْفِضُ الزَّفَرَاتِ ، وَهِيَ صَوَاعِدُ وَأُكْفِكُ الْعَبْرَاتِ ، وَهِيَ جَوَارِ
وَشَهَابُ زَنْدِ الْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ وَارٍ ، وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مَتَوَارِ ^(٤)
وَأُكْفُ نِيرَانَ الْأَسَى ، وَلَرْبَمَا غُلِبَ التَّصَبُّرُ ، فَارْتَمَتْ بِشَرَارِ
ثُوبُ الرِّيَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا التَّحَفْتُ بِهِ فَإِلَيْكَ عَارِ

(١) السمرار : المسارة ، أى الكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتاً ، فهو في قبره قريب منه ، ولكن الموت يجعل هذه المسافة القريبة شقة شاسعة ومكاناً نائياً .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والواري : المتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

٩ — علي بن النعمان^(١)

قال في وصف صديق :

صديقٌ لى لَهُ أدبٌ صداقةٌ مثله نَسْبُ
رعى لى فوق ما يُرعى وأوجب فوق ما يَجِبُ
فلَوْ نُقِدَتْ خِلائقُهُ كَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

١٠ — أبو الحسن علي بن عبد الرحمن^(٢)

قال في الهجاء :

وذى حَرْصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفَرًّا لوارثه ، وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ^(٣)
ككلب الصيد: يُمَسِّكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيستَه لياكلها سواه^(٤)

١١ — الحسن بن الزبير الأسواني^(٥)

قال يشق إلى نهر بردى بالشام :

بالله ياريح الشما ل إذا اشتملت الرُّوحُ مُرْدَا^(٦)
وحملت من نَشْرِ الخزا حى فاغتدى للنَّدِّ ندا^(٧)
ونسجت ما بين العُصُو ن ، إذا اعتنقن هوى ووُدَّا

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن النعمان ، قاضى العزيز الفاطمى ، توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصرى من فلكي المصريين زمن الفاطميين ، توفى

سنة ٣٩٩ هـ .

(٣) الوفى : المال الكثير . (٤) طاو : جوعان .

(٥) هو القاضي المذهب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء فى دولة الفواطم

المصريين ، توفى سنة ٥٦١ هـ . (٦) الروح : النسيم .

(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والنَّد : نبت طيب الرائحة .

وهزنتِ عند الصُّبحِ من أجيادها للزَّهرِ عقدا
فلأتِ صفحةَ وجهه حتى أكتسى آسا ووردا
فكأنما ألفت فيه هـ منها صدغاً وخدا :
مرى على بردى ، عسا هـ يزيد في مسراكِ بُرداً (١)
نهرٌ كنصل السيف تكُّ سو مقننه الأزهارُ غمدا
صقلته أنفاسُ النسـ يم بمرهنَّ ، فليس يصد (٢)
أحبابنا ما بالكم فينا من الأعداء أعدى
وحياة حُبِّكم ، بترُّ بة وصلكم ما خنت عهداً (٣)

١٢ — ابن الفارض (٤)

قال من قصيدة :

أبق لي مقلةً لعلَّ يوماً قبل موتى أرى بها من رآكا
أين منى مارمتُ؟ هيهات! بل أي ن لعيني باللحظ لثم ثراكا
وبشيري لوجاء منك بعطف ووُجودي في قبضتي قلت هاكا

(١) البرد بضم الراء : جمع بريد ، وهى مسافة كل منزلة لحيل البريد ، وسكن الراء للشعر .

(٢) يصد : يصدأ . وخفف الهمزة لضرورة القافية .

(٣) أقسم أولاً بحياة حبه لمعشوقه ، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له ، أى أنه لما لم يواصله صار حكم الوصل كالميت المدفون في قبر ، فهو يخلف به إجلالا .

(٤) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع . ولد ومات بالقاهرة ، وله ديوان شعر مشروح . وأصل آبائه من حماة . توفي سنة ٦٣٢ هـ .

قد كفى ما جرى دماً من جفونٍ لى قرحى ! فهل جرى ما كفاكا
فأجر من قلاك فيك معى قبل أن يُعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذلتى بخضوعى بافتقارى بفاقتى لغناكا
لا تكلنى إلى قوى جلدٍ خا ن ؛ فإنى أصبحت من ضُففاكا
كنت تجفو ، وكان لى بعضُ صبر أحسن الله فى اصطبارى غناكا !
كم صُدودٍ عساك ترحمُ شكوا ي ، ولو باستماعِ قولى : عساكا !
شنعُ المرَجفونُ عنك بهجرى وأشاعوا أنى سلوتُ هواكا
ما بأحشائهم عشقتُ ، فأسلو عنك يوماً . دغ بهجروا ! حاشاكا (١)
كيف أسلو ؟ ومقلتى كلما لا ح بريقٌ تلقّتُ للقاكا
كلُّ من فى حماك يهواك لكن أنا وحدى بكل من فى حماكا

١٣ — عمارة اليمنى (٢)

قال من قصيدة يصف فيها داراً :

أنشأت فيها للعيون بدائعاً دقت فأذهل حسنها من أبصرا
فمن الرخام : مُسَيِّراً ومُسَهِّماً ومُنَمِّناً ومُدْرَهْماً ومُدْزِراً (٣)

(١) يهجروا : يقولوا باطلاً وقيحاً من الكلام .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة الحكيم ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤدباً رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبي ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكاييد لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) المسير : المخطط . والمنعم : المزخرف . والسهم والدرهم والمدز : ما فيه صور السهم والدراهم والدنانير .

وسقيت من ذؤب النضار سُقُوفَها (١) حتى يَكَادُ نُضَارُها أن يَقْطُرَا (١)
 لم يَبْقَ نوعٌ صامتٌ أو ناطقٌ إلا غدا فيها الجميعُ مُصَوِّرا
 فيها حدائقٌ لم تَجْدُها ديمة : كلا ولا نبتت على وجه الثرى (٢)
 لم يَبْدُ فيها الرُّوضُ إلا مُزْهراً والنخلُ والرُّمَّانُ إلا مُشْمِرا
 والطيرُ مذْ وقعت على أغصانها ونمارها لم تستطع أن تنقرا
 وبها من الحيوان كلُّ مُشَبَّهٍ ليسَ الحريرُ العبقريُّ مُصَوِّرا
 لا تعدم الأبصارُ بَيْنَ مُرُوجِها ليشاً ولا ظُبيّاً بوجرة أعفرا (٣)
 أنستْ نوافرُ وحشها لسباعها فظباؤها لا تتقى أسد الشرى (٤)
 وكأن صولتك الخليفة أمنت أسرابها ألا تخاف فتدعرا
 وبها زرافاتٌ كأن رقابها في الطول ألوية تؤم المسكرا
 نوبية المنشا تُريك من المها رؤفاً ، ومن بزل المهاري مشفرا (٥)
 جُبِلَتْ على الإقماء من أعجازها فتخالها في التيه تمشي القهقري

(١) النضار : خالص الذهب .

(٢) الديمة : المطر يدوم

(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من

الظباء وغيرها .

(٤) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٥) الروق : القرن والمهاري : جمع مهيبة وهي الناقة المنسوبة إلى بلاد مهرة شرقي

حضر موت أي أنها أشبهت بقر الوحش في القرون ، وأشبهت الإبل في المشافر .

١٤ - القاضي الفاضل (١)

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغيته وتلاعب فيها بالمعاني مفتخراً :
 قضى نَحْبَهُ الصَّوْمُ بعد المطال وأطلق من قَيْدِ فِئْرِ الهِلَالِ (٢)
 وروّض كاتب جنبي اليمين وأنعب كاتب جنبي الشِّمالِ (٣)
 فدغ ضيقة مثل شدِّ الإِسارِ إلى فُرْجَةٍ مثل حلِّ العقالِ
 وقمّ هاتِها مثل ذَوْبِ النُّضارِ وموج البحار وطعم الزُّلالِ (٤)
 جزى الله عني عروس الدَّوالِ ولا أخطأَتْها كُثُوسُ العِزَالِ (٥)
 بما أطعمت من لَذِيذِ الثَّمارِ وما ألبست من نَسِيجِ الظَّلالِ
 وما سألست من مُذَابِ الشُّرورِ وما خفضت من جِراحِ التَّغَالِ (٦)
 فكُم زخرت جَنَّةٌ للعذابِ وكُم رفعت قَبَساً للضَّلالِ (٧)

(١) هو عبد الرحيم بن علي البيهقي اللخمي . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث أتم بالعربية والأدب ثم كتب في الاسكندرية في دواوينها ثم ظهر فضله فنقل إلى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ووزير بعده لابنه العزيز وتوفي سنة ٥٩٦ هـ .

(٢) قضى نَحْبَهُ : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيداً بإهلال هلال شوال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتي عن يميني ، وأنعب الملك الموكل بكتابة سيئاتي عن يساري لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوال وما يليه ستكون في العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أي هات الحجر في لون الذهب مزبدة كموج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالي : عنب أسود غير حالك ، يدعو لسكرمة هذا العنب . والعزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة ونحوها . يريد بها عزالي السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظللهم بعرائشها الخ .

(٦) التغالي : المغالة .

(٧) يشير إلى آثار الحجر في عقل شاربهها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أَغَالِطُ بِالسَّكَاسِ حُكْمَ الزَّمَانِ فَيَوْمٌ عَلَى وَيَوْمٌ بِمَا لِي (١)
 فَجَاءَتْ بِمَا فِي عُيُونِ النِّسَاءِ وَمَرَّتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ (٢)
 وَأَسْأَلُو الْغَزَالَ بِهَا إِذَا أَرَى بِكَاسَاتِهَا دَمَ ذَلِكَ الْغَزَالِ
 وَسُكْرَانٍ كَرَّرَ مِنْ سُكْرِهِ زَمَانٌ عَلَى كُلِّ عَقْلٍ مُمَالٍ
 فَسُكْرُ الشَّبَابِ وَسُكْرُ الشَّرَابِ وَسُكْرُ الصَّدُودِ وَسُكْرُ الْوَصَالِ
 فَلَا تَذْكُرَنَّ عُهُودَ الْوَصَالِ فَمَهْدِي بِهَا وَاللَّيَالِي لَيَالِي
 وَلَمْ أَبْكْ عَهْدًا رَجَاءَ الرُّجُوعِ وَلَكِنْ أَجْدَدُهُ بِالصِّقَالِ (٣)
 بَعَثَنَ اللَّيَالِي بِبَأْسٍ جَدِيدٍ عَلَى قَدِيمَا فَجَاسَتْ خِلَالِي (٤)
 فَمَا جَاءَ عَنْ مَنْطِقِي ذَمُّ جَانِ وَلَا جَاءَ عَنْ جَوْهَرِي ذَمُّ حَالِي (٥)
 وَلَمْ أَسْتَعِثْ تَحْتَ ظِلِّ الْخَطُوبِ بِجَرِّ جَرَّةِ الْبَزْلِ تَحْتَ الرَّحَالِ (٦)
 خَشِنْتُ لِحَالِ كَشُوكِ الْقِتَادِ وَلِئِنْ لَأُخْرَى كَشُوكِ السِّيَالِ (٧)
 وَلَسْتُ لِسَانًا لَذُلِّ السُّؤَالِ وَمَا زِلْتُ صَدْرًا لِعَزِّ السُّؤَالِ (٨)
 حَدِيثٌ يُنَاجِي فُرُوعَ السَّحَابِ وَأَصْلٌ يُنَاجِي أَصُولَ الْجِبَالِ

(١) أَيُّ وَيَوْمٌ يَأْتِي بِمَا هُوَ لِي أَيُّ بِفائدة لِي .

(٢) فَجَاءَتْ السَّكَاسُ بِمَا فِي عُيُونِ النِّسَاءِ مِنَ التَّكْسِرِ وَالْفَتُورِ ، وَمَرَّتْ الْحُ . أَيُّ وَذَهَبَتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ مِنَ الْعَقْلِ .

(٣) أَيُّ وَلَمْ أَبْكْ عَهْدًا مِنْ هَذِهِ الْعُهُودِ رَجَاءً أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ وَلَكِنْ أَصْقَلَهُ بَعْدَ مَا قَدَّمَ بِوَصْفِي لَهُ وَبَكَائِي عَلَيْهِ .

(٤) إِمَّا أَنْ يَعُودَ ضَمِيرُ بَعَثَنَ عَلَى الْعُهُودِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَإِمَّا عَلَى رَأْيٍ مِنْ يَلْحَقُ عَلَامَةَ الْجَمْعِ بِالْفِعْلِ عِنْدَ إِسْنَادِهِ لِلْجَمْعِ الظَّاهِرِ .

(٥) أَيُّ أَنِّي لَا أَذْمُ أَحَدًا جَانِيًا كَانَ أَوْ حَالِيًا بِالْفَضِيلَةِ .

(٦) الْبَزْلُ : الْجَمَالُ الْمُسْنَدُ ، أَيُّ لَا أَصِيحُ كَجَرِّ جَرَّةِ الْبَزْلِ .

(٧) السِّيَالُ : جَمْعُ سِيَالَةٍ ، وَهُوَ نَبَاتٌ لَهُ شَوْكٌ أَيْبُضٌ طَوِيلٌ ، إِذَا نَزَعَ خَرَجَ مِنْهُ سَائِلٌ مِثْلُ اللَّابَنِ ، وَهُوَ يَلِينُ لِنَازَعِهِ عَلَى الْعَكْسِ مِنَ الْقِتَادِ ، وَهُوَ شَجَرٌ صَلْبٌ لَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرِ وَلَا يَسْتَطَاعُ نَزْعُ شَوْكِهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ وَاحْتِمَالٍ أَذَى .

(٨) أَيُّ أَنِّي لَا أَسْأَلُ النَّاسَ وَلَكِنْهُمْ يَسْأَلُونَنِي .

١٥ - ابن قلاقس (١)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافر إذا ما شئت قدرا سار الهلالُ فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى طيباً ، ويخبث ما استقرأ
وبنقله الدرر القـ ية بُدلت بالبحر تحراً
وصلاً إذا امتلأت يدا ك فإن هما خلتما فهجرا (٢)
فالبدر أنفق نوره لما بدا ثم استسرا (٣)
حركات عيسك ما أردت مهاد عيشك أن تقرا (٤)
فالهد أسكن للصبي ببحيث جاء به ومرا
إمّا تريني صاحب الـ وجفنت قد ألبست طمرا (٥)

(١) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمي الإسكندري الملقب بالقاضي الأعز . كان شاعراً مجيداً رحالاً مداحاً دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءها كما مدح أعيان دولة الفاطميين ثم ذهب إلى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيناب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم ، الأحمر ، إلى الحجاز ، سنة ٤٨٦ هـ .

(٢) وصلا : أى صل وصلا ؛ والمعنى أبق في بلدك .

(٣) أنفق نوره : أى لقي محبة وإعجاباً . وهو من أنفق القوم ، إذا راجت تجارتهم .

(٤) حركات عيسك . أى اعمل حركة لعيسك إذا أردت قراراً لعيشك ، أى أن الغنى

بالسعي دائماً ، فسكن الصبي في مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومر إلى أخرى .

(٥) الطمر : الثوب البالي .

فوقائع الأيَّام تحـ رجُ أهلها شُعْثًا وُغْبِرا
 مدَّت إلى الأربعـو ن يداً ، وقد قهقرتُ عُشرا
 واستحدثتُ في لمـتى نُقْطًا ، فهـلا كنَّ حِبراً (١)
 ما قلتُ : أُمَّ ! فإنَّها شرُّ بَأْفٍ يعود جـمرا
 وكفـاك أنى إن نظـر ت لها نظرتُ النجم ظهرا (٢)
 كان الشـبابُ الغضُّ لـيـ لا فاستنار الشيبُ فجرا
 ولئن تقلب بي الزما نُ كما اشتهى بطننا وظهرا
 فـبها قتلتُ صـروفه وقتلته جـلداً وخبـرا
 غاض الوفاء ، وفاض ما ع الغدر أنهاراً وغـدرا
 فانظر بعينك هل تـرى عُرفا وليس تراه نُـكـرا ؟
 خلُق جـرى من آدم في نـسـله ، وهـلم جـرا
 ومروعى بالبحـر يحـ سبُّ أننى أرتاعُ بحـرا
 أو ما درى أنى بـتـس هـيل المصاعب منه أدرى ؟

وقال مرتجلاً وقد خر السقف عليه من أثر مطر هائل :

ولمّا بدا ركبُ السحاب تسوقه حداة الرياح الهوج وهى تُزجـر (٣)
 ركنت لبـيت أستجنّ من الحـيا به ، وإذا غيـث من السقف يقـطـر (٤)
 فلا فرق ما بين السـحاب وبينه سوى أن ذا صافٍ ، وذاك مكـدّر

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .

(٢) أى إن نظرت إلى الشعرات البيض فى لمـتى اسودت الدنيا فى عيني وكأنى أنظر

النجوم فى الظهر ، مأخوذ من المثل العامى « يريـه النجوم فى الظهر » .

(٣) الهوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها بل تتناوح .

(٤) استجن : استتر . والحيا : المطر .

وقال يصف فوّارة :

وسهم فوّارة إذا انبعثتْ عاودتْ الجوَّ يجتدى أرضه
كانها خَيْمةٌ مكلّلةٌ عمودها من سبائك الفضة

وقال يصف الشمس وهي غاربة في النيل :

أنظر إلى الشمس فوق النيل غاربةً واعجب لما بعدها من حُرة الشفق
غابتْ ، وأبدتْ شُعاء منه يخلفها ؛ كأنها احترقتْ بالماء في الفرق !
وللهلال ، فهل وافى لينقذها في إثرها زورقاً قد صيغ من ورق ؟ (١)

١٦ — ابن النبيه المصرى (٢)

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموت كخيلٍ الطراد فالسابقُ السابقُ منها الجواد
واللهُ لا يدعو إلى داره إلا مَنْ استصلحَ من ذى العباد
والموتُ نقادٌ على كفه جواهر يختارُ منها الجياد
والمرة كالظلٍّ ؛ ولا بدّ أن يزولَ ذاك الظلُّ بعد امتداد
لا تصلحُ الأرواحُ إلا إذا سرى إلى الأجساد هذا الفساد
أرغمتْ يا موتُ أنوفَ القنا ودستَ أعناقَ السيوفِ الحداد (٣)

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القنّاة : جمع قنّاة وهي الرمح .

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيَّعاً مَلَكَ القُوَادِ فمَاعِسى أَنْ أَصْنَعَا ؟
 من لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الحَبِيبِ كَظَلَمِهِ حُلُوءاً فَقَدْ جَهَلَ الحُبَّةَ وَادَّعى (١)
 يَأْيِهَا الوجهُ الجَمِيلُ تَدَارِكُ الصُّدَّ بَرَّ الجَمِيلَ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعَضَعَا
 هل فِي قُوَادِكَ رَحْمَةٌ لِمَتَيْمٍ ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ قُوَاداً مُوجَّعَا ؟
 هل من سَبِيلٍ أَنْ أُبْثِّ صَبَابَتِي أَوْ أَشْتَكِي بَلَوَايَ أَوْ أُتَوَّجَّعَا ؟
 إِنِّي لِأَسْتَحْيِي كَمَا عَوَّدَتْنِي بِسَوَى رِضَاكَ إِلَيْكَ أَنْ أَنْشَفَعَا

١٧ — ابن مطروح (٢)

قال بصف حسناء تسير بليل :

وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ المَلِيحَةِ إِذْ بَدَتْ دُجَى فَأَضَاءَ الأفقُ من كل مَوْضِعٍ
 فَخَدَّتْ نَفْسِي أَنَّهَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ وَأَنى قَدْ أَوْتَيْتُ آيَةً يُوشَعُ (٣)

وقال يتغزل :

يَا مَنْ لَبَسْتُ عَلَيْهِ أَثَوَابَ الضَّنَى صُفْرًا مَوْشَعَةً بِحُمْرِ الأَدْمُعِ (٤)
 أَذْرِكُ بَقِيَّةَ مُهْجَةٍ لَوْ لَمْ تَذُبْ أَسْفًا عَلَيْكَ نَفِيتُهَا عَنْ أَضْلَعِي

(١) الظلم بالفتح : بريق ثغر الأسنان وحسنه

(٢) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسبوط ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة ، وكان زميلاً للهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٣) يوشع هو صاحب موسى عليه السلام ، وقد وقفت له الشمس في قصة معروفة .

(٤) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

وقال أيضاً :

مَلِكُ الْمَلَايَحِ تَرَى الْعِيُونَ عَلَيْهِ دَائِرَةً يَطَقُ (١)
وَمُخَيَّمٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَفِي الْفَوَادِ لَهُ سَبَقُ (٢)

١٨ — البهاء زهير (٣)

قال في الشكوى :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ زَمَانِي بَعْدَ ذَا الْبُخْلِ يَجُودُ ؟
مَا أَرَى الشَّدَّةَ إِلَّا كَمَا مَرَّتْ تَزِيدُ
يَنْقَضِي يَوْمٌ فَيَوْمٌ فِي حَدِيثٍ لَا يُفِيدُ
فَمَتَى الْيَوْمُ الَّذِي أَبْغَى فِيهِ مَا أُرِيدُ ؟

وقال في عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يَعَاهِدُنِي : لَا خَانَنِي ! ثُمَّ يَنْكُثُ وَأُحْلِفُ لَا كَلِمَتُهُ ! ثُمَّ أُحْنَتُ
وَذَلِكَ دَأْبِي لَا يَزَالُ وَدَأْبُهُ فِيمَا مَعَشَرَ النَّاسِ اسْتَمَعُوا وَتَحَدَّثُوا
أَقُولُ لَهُ : صَلِّنِي ! يَقُولُ : نَعَمْ ، غَدًا ! وَيَكْسِرُ جَفَنًا هَازِنًا بِي وَيَعْبَثُ !
وَمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ لَوْ كَانَ زَارِنِي ! وَكُنَّا خَلُونَا سَاعَةً نَتَحَدَّثُ
أُمُولَايَ ؛ إِنِّي فِي هَوَاكَ مَعَذَّبٌ ! وَحَتَامَ أَبْقَى فِي الْعَذَابِ وَأَمْكُثُ
فَخَذَ مَرَّةً رُوحِي تُرْحَنِي ؛ وَلَمْ أَكُنْ أَمُوتُ مَرَارًا فِي النَّهَارِ وَأُبْعَثُ (٤)

(١) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه.

(٢) السبق : خيمة الملك .

(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلب الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، ونشأ

بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فكان عند رئيس ديوان الإنشاء
(بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٥٦ هـ .

(٤) يقال : أخذ الشيء مرة ، أى دفعة واحدة .

وإني لهذا الضيم منك لحاملٌ ومننتظر لطفاً من الله يحدث !
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا خلاثتك الحسنى أرقٌ وأدمتُ (١)
تردد ظنُّ الناس فينا وأكثروا أقاويلَ : منها ما يطيبُ ؛ ويخبث
وقد كرمتُ في الحب منى شمائلي ويسأل عني من أراد ويبحث !

وقال في التغزل ؛ وتلاعب بالتورية والطباق ، ومراعاة النظير :

غيرى على الشُّلوان قادرٌ وسوَى في العشاق غادر
لى في الغرام سريرةٌ والله أعلم بالسرائر
ومشبهه بالغصن قد بي لا يزال عليه طائر
حلوا الحديث ؛ وإنها لحلاوة شقت مرائر (٢)
أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر ؟
لا تُنكروا خفقان قد بي ، والحبيب لدى حاضر
ما القلب إلا داره ضربت له فيها البشائر
يا تاركى في حُبِّه مثلاً من الأمثال سائر
أبدأ حديثي ليس بأل منسوخ إلا في الدفاتر
يا ليل ما لك آخره يُرجى ولا للشوق آخر
يا ليل طُلْ يا شوق دُم ؛ إني على الحالين صابر
لى فيك أجرٌ مجاهد إن صبح أن الليل كافر (٣)
طرفى وطرفُ النجم فيه لك كلاهما ساه وساهر

(١) المكان الدمث : اللين السهل . ودمانة الأخلاق : رقتها .

(٢) المرائر : جمع مرارة ، وهى هنة شبه كليس لازقة بالكبد .

(٣) فى كافتورفة من الكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافراً ، لأن الشاعر

يقطع الليل كله ساهراً . أو من قولهم : الليل كافر ، أى سائر .

يَهْنِيكَ بِدْرُكَ حَاضِرٌ يَالَيْتَ بِدْرِي كَانَ حَاضِرٌ^(١)
 حَتَّى يَبِينَ لِنَظَرِي مِنْ مَنَّهُمَا زَاهٍ وَزَاهِرٌ
 بِدْرِي أَرْقُ مُحَاسِنَا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرٌ^(٢)

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة :

سَقَى وَادِيًا بَيْنَ الْعَرِيشِ وَبَرْقَةٍ مِنْ الْغَيْثِ هَطَّالُ الشَّائِبِ هَتَّانُ^(٣)
 وَحَيَّا النِّسِيمُ الرُّطْبُ عِنَّا إِذَا سَرَى هُنَالِكَ أَوْطَانًا إِذَا قِيلَ أَوْطَانُ
 بِلَادٍ مَتَى مَا جِئْتَهَا جِئْتَ جَنَّةً لَعِينِكَ مَنَّا كُلُّ مَا شِئْتَ رِضْوَانُ^(٤)
 تَمَثَّلْ لِي الْأَشْوَاقُ أَنْ تَرَاهَا وَحَصْبَاءُهَا مَسْكٌ يَفُوحُ وَعِيقِيَانُ^(٥)
 فَيَا سَاكِنِي مِصْرَ تَرَاكُمُ عَالَمُكُمْ بِأَنِّي مَالِي عَنْكُمْ الدَّهْرُ سُلوَانُ ؟
 وَمَا فِي فَوَادِي مَوْضِعٌ لِسَوَاكُمُ وَمَنْ أَيْنَ فِيهِ ؟ وَهُوَ بِالشَّوْقِ مَلَانُ
 عَسَى اللَّهُ يَطْوِي شُقَّةَ الْبُعْدِ بَيْنَنَا فَتَهْدَأُ أَحْشَاءُ وَتَرْقَأُ أَجْفَانُ
 عَلَى لَذَاكَ الْيَوْمِ صَوْمٌ نَذَرْتُهُ وَعِنْدِي - عَلَى رَأْيِ التَّصَوُّفِ - شُكْرَانُ

-
- (١) بدر العشوق : هو الكوكب المضيء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .
 (٢) في الفرق تورية : فرق الشعر ، و فرق ما بين الأمرين .
 (٣) الشَّائِب : جمع شؤبوب ، وهى الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع .
 (٤) الرضوان : الرضا .
 (٥) العقيان . الذهب الخالص .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — أبو الفرج البغواء

من كتاب يهنيء فيه بولاية عمل :

« سيدى — أيدى الله — أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأعظم نبلاً ، وأشهر فضلاً ، من أن تهنته بولاية ، وإن جل خطرها ، وعظم قدرها ، لأن الواجب تهنته الأعمال بفائض عدله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسماة كياسته . فعرفه الله بمن يتولاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانىه ، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه . . . » .

ومن كتاب له فى تهنته بعيد :

« . . . عرفك الله يُمن هذا العيد وبركتك ؛ وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحيأك لأمثاله فى أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المدد وأطولها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحذور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور . . . » .

وله من كتاب فى التهنته بمولودة :

« . . . ومولانا — أيدى الله ، مع كمال فضله ، وتنأهى عقله ، وحدة فطنته وثاقب معرفته — أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواظر الفكر ، ويسلك بها غير

مذاهب الشكر ، وقد اتصل بالملوك خبر المولودة — كرم الله غرتها ، وأطال مدتها وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها — وما كان من تغيره عند اتضاح الخبر ، وإنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب الملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، اضيق العذر في مثله عليه . وقد علم مولانا أنهم أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب . فقال جل من قائل : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ أَلَدًا كُورًا » . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . وَلَكُمْ نَسَبٌ أَفْذَنُ ، وشرف استحدثن ، من طرق الإصهار ، والانصال بالأخيار . والملمس من الذكر نجابته ، لا صورته وولادته . وَلَكُمْ ذَكَرُ الْأُنْثَى أَكْرَمَ مِنْهُ طَبْعًا ، وأظهر منه نفعًا . فمولانا يصور الحال بصورتها ؛ ويجدد الشكر على ما وهب الله منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هُوَ الأشبه ببصيرته والأولى بمثله إن شاء الله تعالى . »

٢ — علي بن خلف^(١)

كتب في الدعوة إلى وليمة :

« رَقَعَتِي — أطال الله بقاء سيدي — ومجلسي بمن حله من خدمه ، وتركه من صانع كرمه ؛ فَلَاكُ مَزِينٌ بِأَنْجُمِهِ . فَإِنْ رَأَى أَنْ يُطْلَعَ فِيهِ بَدْرًا يَطْلُوعُهُ ؛ وَيَنْتَقِلُ قَدَمُهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُكَمِّلُ نَقَصَهُمْ بِتَمَامِهِ ، وَيُضَيِّفُ ذَلِكَ إِلَى تَلِيدِ إِنْعَامِهِ — فعل ، إن شاء الله تعالى . »

(١) من كتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية ، وله في مصطلح الإنشاء كتاب « مواد البيان » وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبيح الأعشى .

٣ - القاضى الفاضل

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى رحمه الله يصف مدينة آمَدَ (١) من رسالة جاء فيها :

وَأَمْدُ ذِكْرُهَا بَيْنَ الْعَالَمِ ، مُتَعَالَمٌ (٢) ، وَطَالَمَا صَادَمَ جَانِبَهَا عَنْ تَقَادَمِ (٣) ، فَارْجَعَ عَنْهَا مَقْدُوعاً (٤) أَنْفُهُ وَإِنْ كَانَ فَحْلاً ؛ وَفَرَّ عَنْهَا فَرِيداً بِهِمَّةً وَإِنْ اسْتَصْحَبَ خَيْلاً وَرَجَلاً (٥) . وَرَأَى حَجَرَهَا فَقَدَّرَ أَنَّه لَا يُفَكُّ لَهُ حَجَرٌ (٦) ؛ وَسَوَادُهَا (٧) فَظَنَّ أَنَّه لَا يَنْسَخُهُ فَجْرٌ ؛ وَحَمِيَّةَ أَنْفِ أَنْفَتِهَا ، فَأَعْتَقَدَ أَنَّه لَا يَسْتَجِيبُ لَزَجَرٍ : مِنْ مُلُوكٍ كُلِّهِمْ قَدْ طَوَى صَدْرُهُ عَلَى الْغَلِيلِ (٨) إِلَى مُوَرِّدِهَا ؛ وَوَقَفَ وَقْفَةً الْحُبِّ السَّائِلِ فَلَمْ يَفْزَ بِمَا أَمَّلَ مِنْ سُؤَالٍ مَعَهَا .

(١) وهى بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن ديار بكر. وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر ، والهضبة : القى بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك « قره آمد » أى آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أى من تقادم من الفاتحين .

(٤) قَدَعَ أَنْفَ الْفَحْلِ : ضَرَبَ أَنْفَهُ لِيَكْفَهُ عَنِ النَّوْقِ إِذَا كَانَ غَيْرَ كَرِيمٍ خَشِيَةَ أَنْ تَلَدَ

منه غير نجائب .

(٥) الْحَيْلُ هُنَا : الْفَرَسَانِ . وَالرَّجُلُ : الرَّجَالَةُ « الْبَيَادَةُ » .

(٦) الْحَجَرُ : الْحَبْسُ وَالْحَصَارُ .

(٧) وَسَوَادُهَا : أَيْ سَوَادُ هَضْبَتِهَا الْمَبْنِيَةِ هِيَ عَلَيْهَا .

(٨) الْغَلِيلُ : الْعَطَشُ ، يَرِيدُ الرِّغْبَةَ فِي فَتْحِهَا .

٤ — ابن الصيرفي^(١)

ومن الكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة في ركوب الخليفة
الفاطمي إلى مصلى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد الفجر سنة كذا وكذا ؛ وهو
يوم أظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيه — رغبة ورهبة — مسارعة
النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجهت
إلى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر ، وحافظت على ماتحرزه من كريم الثواب
وجزيل الأجر واستنزلت الرحمة بروية إمام الأمة وعدت الإخلاص في خدمته
من أوفى الحرمات وأقوى الأذمة^(٢) ، وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوار
الساطعة طواعيه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ، وقصد
المصلى في كتاب الجبة^(٣) ومواكب للتعظيم مستوجبة ، وعزة تتبين في الشمايل
والصفحات ، وقوة يشهد بطيب وصفها أرج النفعات ، قد غدت عددها محكمة
وخيوها مطهمة^(٤) ، وذوابلها^(٥) إذا ظمئت^(٦) كانت مقومة ، وإذا رويت^(٧)
عادت محطمة . تتقلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجائر الخائف ، ومتى
اقتضبت^(٨) عملا كان اقتضاها مبيضا للصالحين . وفي ظلها معاقل لللائذين ،

(١) هو أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي كان من
شيوخ الكتاب في دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل
طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيراً من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ هـ

(٢) الأذمة جمع ذمام ، وهي الحق والحزمة .

(٣) الكتبية : الجيش ، ولجة : كثير الجلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٤) المطهم : التام البارع الجمال من كل شيء .

(٥) الذوابل : الرماح الذابلة القنا ، أي الجافة القصب .

(٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) وإذا رويت ، أي من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها .

(٨) في اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض إلى

آخر في الشعر أو الكتابة .

وبحدها مصارع المنابذين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولستغاق البلاد
مفتاح ، ولستفتحتها مغالق . ولما انتهى إلى المصلى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها
أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فرقيبه ، وخطب
خطبة من استخلفه الله فكان مراقبه ومتقيه ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل
في نصحه في الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدة له ، ففجرها
جاريا في الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل وإنجاز وعده في الأعادى ،
فالله يقضى بتصديقه ويمنّ بتخيله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرمة مشكوراً سعيه ،
مضموناً نفعه ، مرضياً فعله ، مشمولاً عبيده منه بما هو أهله . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ،
فاعلم هذا واعمل به وكتب في اليوم المذكور .

هـ - ابن قادوس^(١)

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل في الدولة الفاطمية :
« النعم وإن كانت شاملة للأمم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ
في الآفاق أعلامه ، واعتداد نُحُكَمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك في النفع
بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت والجواد ، وتلك النعمة : النيل
المصرى^(٢) الذى تبرز به الأرض الجرز^(٣) فى أحسن الملابس وتظهر حلال الرياض
على القيعان والبسابس^(٤) ، وترى الكنوز ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللاجين
والعقيان فسبحان من جعله سبباً لإنشار الموات ووفر به مواد الأرزاق والأقوات » .

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء باب الإنشاء فى
الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أوهى الأرض
التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

ثانياً — النثر العلمى التأليفى

١ — المعرى

من النثر العلمى التأليفى قول أبى العلاء فى مقدمة الازوميات :

« . . . وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : « إني رفضت الشعر رفض السَّقَبِ غرسه (١) ، والرأى تريكتته (٢) ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعير على نظامه بالشبهات ، فأما السكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن (٣) ، وأمرأ بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر فهو — إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضعف ما ينطبق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ومن أخذ بِضَرِيَّة (٤) من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبايح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الحجر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف (٥) الفكر — وهم أهل مقام وخفض — فى معنى ما يدعون أنهم يعانون : من حيث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس (٦) الشقاء .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأى : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة فى مقدمة ديوانه : سفظ الزند .

(٣) المتوسن : النائم . (٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حمة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلاً ، لكل حرف أربعة فصول ، وهى على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة ، وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، لتكون قضاء حقِّ التأليف . وبالله التوفيق .

٢ - ابن شداد^(١)

فصل من كتابه « النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية » :

« كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلاً رضيعاً له ثلاثة أشهر ؛ وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

« ولما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذن لك بالخروج ، فأخرجى وأطلبه منه ، فإنه يردّه عليك . فخرجت تستغيث إلى اليك ، فأخبرتهم بواقعها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديداً ، ومرّغت وجهها فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع

(١) هو القاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . وكان من خاصة صلاح الدين ابن أيوب ، وملازمى ركابه .

فى السوق ، فارتده ، وأمر بدفع ثمنه إلى المشتري ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفاً
حتى أحضر الطفل وسلم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديداً . وضمته إلى صدرها
والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف فى جملتهم ، فأرضعته ساعة .
ثم أمر لها ، فحملت على فرس ، وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر إلى
هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر » .

عصر الماليك والعتانين

(١) الشعر

١ - شمس الدين محمود الكوفي

قال في رثاء بغداد :

إن لم تَقَرِّحْ أَدْمَعِي أَجْفَانِي من بَعْدِ بَعْدِكُمْ - فما أَجْفَانِي (١)
إِنْسَانُ عَيْنِي مَذْ تَنَاءَتْ دَارُكُمْ ما رَاقَهُ نَظْرٌ إِلَى إِنْسَانٍ (٢)
يَا لَيْتَنِي قَدْ مِتُّ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ وَلِسَاعَةِ التَّوَدِّيعِ لَا أَحْيَانِي
مَا لِي وَالْأَيَّامُ شَتَّتَ خَطْبُهَا شَمْلِي ؟ وَخَلَّانِي بِلا خُلَانِ
مَا لِلْمَنَازِلِ أَصْبَحَتْ لَا أَهْلُهَا أَهْلِي ، وَلَا جِيرَانُهَا جِيرَانِي
وَحَيَاتِكُمْ مَا حَلَّهَا مِنْ بَعْدِكُمْ غَيْرُ الْبَلَى وَالْهَدْمِ وَالنِّيرَانِ
وَلَقَدْ قَصَدْتُ الدَّارَ بَعْدَ رَحِيلِكُمْ وَوَقَفْتُ فِيهَا وَقْفَةً الْحِيرَانِ
وَسَأَلْتُهَا لَكِنْ بَغِيرَ تَكْلَمِ فَتَكَلَّمْتُ لَكِنْ بَغِيرِ لِسَانِ
نَادَيْتُهَا يَا دَارُ ؛ مَا صَنَعَ الْأَلَى كَانُوا هُمْ الْأَوْطَارُ فِي الْأَوْطَانِ ؟ (٣)
أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ وَلَعَزَّ هُمْ ذُلًّا تَخَرُّ مَعَاقِدُ التَّيْجَانِ ؟
كَانُوا نَجُومَ مَنْ اقْتَدَى فَعَلِيهِمْ يَبْكِي الْهَدَى وَشِعَائِرُ الْإِيمَانِ

(١) أَجْفَى ، أَفْعَلُ تَفْضِيلُ مَنْ جَفَا الرَّجُلَ يَجْفُو ، أَيْ : غَلِظَ وَثَقُلَ .

(٢) إِنْسَانُ الْعَيْنِ : سَوَادُهَا .

(٣) الْأَوْطَارُ . جَمْعُ وَطَرٍ ، وَهُوَ الْبَقِيَّةُ وَالْغَرَضُ .

قالت : غدوا لما تبدد شملهم وتبدلوا من عزم بهوان
كدم انفصا دُراقُ أرذل موضع أبداً ويخرجُ من أعزّ مكان
أفتهمُ غيرَ الحوادث مثلاً أفنت قديماً صاحب الإيوان (١)
لما رأيتُ الدار بعد فراقهم أضحت مُعطّلةً من السكان
مازلتُ أبكيهم وألثمُ وخشةً لجلالهم مُتهدِّم الأركان
حتى رنّ لي كلُّ من : ما وجدّه وجدى ، ولا أشجانه أشجاني
أترى تعود الدارُ نجمةً كما كنا بكلّ سرّةٍ وتهاني ؟
إذ نحن نغتمُ الزمان ونجتنى بيد الأمان قُطوفَ كلِّ أمان (٢)

٢ - بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (٣)

قال في الصبابة والتعزن :

وتنبهت ذاتُ الجناح بسُخرة بالواديّين فنبهت أشواق (٤)
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والألحان عن إسحاق (٥)
قامت تطارحني الغرام جهالةً من دون صحبي بالحمى ورفاق
أنى تُباريني جوّى وصبابة وكآبةً وأسى وفيض مآق
وأنا الذى أُملى الجوى من خاطرى وهى التى تُملى من الأوراق (٦)

- (١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .
(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .
(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبة يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ .

- (٤) ذات الجناح : الحمامة . والسخرة : قبيل الفجر .
(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة في القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلى وهو المراد .
(٦) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

وقال في الروض :

الروض أحسن ما رأيْتُ إذْ تكاثرتُ المَهمومُ
تحنُّو على غصُونِه ويرقُّ لى فيه النسيمُ

٣ — الشاب الظريف^(١)

قال من قصيدة له في الشكوى والحكمة :

أبت رِقَّتِي إِلَّا الذي يقتضى الهوى وعزى إِلَّا ما أفتضى الرأى والعقلُ
فوا عجباً أُنَى خَفِيتُ ، ولم أُنِ وقد راح مملوءاً بى الحزنُ والسَّهْلُ ؟
طريدٌ ولى مأوى ، مُباحٌ ولى حمى وحيدٌ ولى صَحبٌ ، غريبٌ ولى أهلُ
سأجهدُ : إمَّا للمنايا ، أو الثَمَنِ قصاراي : إمَّا النَّصرُ ، أو ماجنى النَّصْلُ^(٢)
فإن لم تصانِي هَمَّتِي بمطالبي ولم يَنْتَسِجْ للشَّيبِ فى إمَّتِي غزلُ
فلا نظرت عيني ، ولا فاه مقولى ولا بطشت كفى ، ولا سعت الرِّجلُ
ومن عرف الأمر الذى أنا عارفُ رأى كُلَّ صعبٍ كُلُّ إدراكه سهلُ
خذ العِزَّ من أىِّ الوجوه رأيتَه فلا خير فى عيش يكونُ به الذُّلُّ
والمرء من داعى الطبيعة قائدُ إذا لم يذُدْهُ دونه الحِلْمُ والنُّبْلُ
من التُّرب هذا الطبع ، والنفس من غُلا فالمرء أنْ يدنو والمرء أنْ يعلو
وقال فى النزول :

يا ساكناً قلبى المَعْنَى وليس فيه سِوَاكَ ثانى
لأىِّ معنى كسرت قلبى وما التقي فيه ساكنان^(٣)

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى ٦٩٥ هـ .
ويمتاز شعره بالركة وجمال الصياغة .

(٢) قصاراي : أى غايى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه
النصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالهجر ، ويورى لذلك
بالكسرة المعروفة للتخلص فى التقاء الساكنين : وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين .

وقال في زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ إلى جنابك قاضياً بالآثم للعتبات بعض الواجب (١)
وأُتيتُ أقصد زورةً أحياء بها فرُددت — يا عيني — هناك بمحاجب (٢)

وقال في الغزل :

بدا وجهه من فوق أشمر قدّه وقد لاح من سُودِ الذوائب في جنح
فقلت عجيب ! كيف لم يذهب الدُجى وقد طلت شمس النهار على رمح ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلت بك الأشواق واشرح هواك فكلُّنا عُشاق
فمضى يُعِينُكَ من شكوت له الهوى في حمله ، فالعاشقون رفاق
لا تجزَعَنَّ ، فليست أوّل مُغرم فتكت به الوجفات والأحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما عاد الوصالُ وللهوى أخلاق (٤)
كم ليلة أسهرت أحداق بها وجداً وللأفكار بي إحداق (٥)
يا ربّ قد بعدَ الذين أُحِبُّهُمْ عني وقد ألف الفراق فراق
واسودَّ حظي عندهم لما سرى فيه بنار صباقتي إحراق
عُربُ رأيتُ أصبحَ ميثاق لهم ألا يصحّ لديهم ميثاق

(١) الجناب : الناحية والكتف .

(٢) كذلك التورية هنا في كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الذوائب . وشمس النهار : الوجه . والرمح : القد :

(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالاً وتجنياً ، ثم يصل بعد ذلك .

(٥) أحداق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بي وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

- ومعشر لم تزل للحرب بيضهم
 إِذَا انتضوها برُوقاً صَيَّرَتْ سَحَاباً
 يثني حديث الوغى أعطافهم طرباً
 كَم نَارِ حَرْبٍ بِهِمْ شَبَتْ وَهْمُ سَحَبٍ
 ضَاءَتْ بِحَسَنِهِمْ تِلْكَ الْخِيَامُ كَمَا
 أَغْرَتْ مَا أَبَدَتْ السَّحْبُ الْخِيَا لِسَوَى
 أَوْحَى إِلَى كُلِّ قِرْطَاسٍ بِلَاغَتُهُ
 سُمُرُهُ تَرُوقُكَ رَأَى الْعَيْنَ عَارِيَةً
 مِنْ كُلِّ مَعْتَدِلٍ كَالْمِيلِ إِنْ رَمِدَتْ
 فَلِلْعُدَّةِ لَدَيْهِ كُلُّ مَا حَذَرُوا ؛
 أَضْحَتْ يَدَاهُ لِعَقْدِ الْجُودِ وَاسْطَةً ،
 فَطَرَسَ يَدْرِي لَجُودِهَا عَطْلَ (٧)

وقال في الغزل ، وسلك مسلك الرسائل السلطانية في الافتتاح بدعاء خاص :

أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَ الْعُيُونِ وَخَلَّدَ مُلُوكَ هَاتِيكَ الْجُفُونِ
 وَضَاعَفَ بِالْفَتُورِ لَهَا اقْتِدَاراً ، وَإِنْ تَكَ أَضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِينِي

- (١) البيض : السيوف وجعلها حمر الحدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .
 (٢) أنتضى السيف : أسله من غمده . والعارض : السحاب ، ويقصد به إلى كثرة ما يسيل من دماء أعدائهم .
 (٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .
 (٤) وهم سحب أى فى الكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .
 (٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ، فى البيت تورية وحسن تعليل .
 (٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كل .
 (٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

وَأَبْقَى دَوْلَةَ الْأَعْطَافِ فِينَا ، وَإِنْ جَارَتْ عَلَى قَلْبِي الطَّعِينُ
وَأَسْبَغَ ظِلًّا ذَاكَ الشَّعْرُ مِنْهُ عَلَى قَدِّ بِهِ هَيْفُ الْغُصُونِ
وَصَانَ حِجَابَ هَاتِيكَ الثَّنَايَا وَإِنْ ثَنَيْتُ الْفَوَادِ إِلَى الشَّجُونِ
حَمَلْتُ نَسْهَدِي وَالشَّيْبَ : هَذَا عَلَى رَأْسِي . وَذَاكَ عَلَى عُمُومِي

٤ - سراج الدين الوراق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال فى شكر الله على نعمائه :

إِلْهِى لَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَشُكْرًا لِنِعْمِكَ الَّتِي لَيْسَ تُكْفَرُ !
وَعُمِّرْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَازِدْتُ بِهِجَّةً وَنُورًا لَذَا قَالُوا ، السَّرَاجُ الْمُعَمَّرُ (١)
وَعَمَّ نُورُ الشَّيْبِ رَأْسِي فَسَرَّنِي وَمَا سَاءَ لِي أَنْ السَّرَاحُ مُنَوَّرُ

وقال فى لوم النفس على المعصية :

يَا خَجَلْتِي وَصَحَائِفِي سَوْدَ غَدَتِ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُؤْنِحِ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَالَ لِي : أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ ؟ (٢)

وقال فى الترفع :

أَصُونُ أَدِيمَ وَجْهِى عَنْ أَنْاسٍ لِقَاءَ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الْأَدِيمُ (٣)
وَرَبُّ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمْ حَبِيبٌ (٤)

(١) البهجة : الحسن .

(٢) الوراق : موراق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .

(٣) الأديم : البشرة .

(٤) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور ، والحبيب : المحبوب ، ففي الكلمة تورية .

وقال في الحنين إلى الأحباب :

وَقَفْتُ بِأَطْلَالِ الْأَحَبَّةِ سَائِلًا ودمعى يسقى نهم عهداً ومعهداً^(١)
وَمِنْ نَجَبٍ أَنِّي أُرَوِّى دِيَارَهُمْ وحظي منها حين أسألها الصدى^(٢)

ه - نصر الدين الجامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رَأَيْتُ شَخْصًا آكِلًا كَرِشَةً وهو أخو ذوقٍ ، وفيه فطن^(٣)
وَقَالَ : مَا زِلْتُ مُحِبًّا لَهَا ، قلتُ : مِنَ الْإِيمَانِ حُبُّ الْوَطَنِ !

وقال في ذم داره :

وَدَارٍ خَرَابٍ بِهَا قَدْ نَزَلْتُ ولكن نزلتُ إلى السابعة^(٤)
طَرِيقٌ مِنَ الطَّرِيقِ مَسْلُوكَةٌ حَجَّتْهَا لِلْوَرَى شَاسِعَةٌ^(٥)
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ أَنِّي أَكُونُ بها ، أَوْ أَكُونُ عَلَى الْقَارَعِ^(٦)
تَسَاوَرُهَا هَفَوَاتُ النَّسِيمِ فَتُصْفَى بِلَا أُذُنٍ سَامِعَةٍ^(٧)
وَأَخْشَى بِهَا أَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ فَتَسْجُدَ حَيْطَانُهَا الرَّآكِمَ
إِذَا مَا قَرَأْتُ : « إِذَا زَلَزْتُ » خَشِيتُ بِأَنْ تَقْرَأَ : « الْوَاقِعَةُ »

-
- (١) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه .
(٢) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .
(٣) الفطن : الفطنة .
(٤) نزلت (الأولى) : حلت . ونزلت (الثانية) : هويت وسقطت ، والسابعة ، أى الأرض السابعة .

- (٥) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .
(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .
(٧) تساورها : توافيها .

٦ — عمر بن الوردى^(١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أَقْتُلْ بَيْنَ جَدِّكَ وَالْمُزَاحِ	بِذِبِلْ جَفُونَكَ الْمَرْضَى الصَّحَّاحِ ^(٢)
يَكْدِرُنِي نَوَاكٍ ، وَأَنْتَ صَافٍ	وَيُسْكِرُنِي هَوَاكٍ ، وَأَنْتَ صَاحِي
وَأَبْكِي لِلْغَرَامِ ، وَأَنْتَ لَاهٍ	وَأُعْذِرُنِي الْأَوَامِ ، وَأَنْتَ لَاحِي ^(٣)
فَمَا لِإِسْرَاحِ دَمْعِي مِنْ إِسَارٍ	وَمَا لِإِسَارِ وَجْدِي مِنْ سِرَاحِ ^(٤)
وَمَا لِصَبَاحِ وَجْهِكَ مِنْ مَسَاءٍ	وَمَا لِمَسَاءِ شَعْرِكَ مِنْ صَبَاحٍ
رِضَاكَ إِلَى رِضَايِكَ لِي دَلِيلٌ	أَلَيْسَ كِلَاهُمَا رُوحِي وَرَاحِي؟ ^(٥)
وَلِي لِحْظٌ بِطَيْرٍ إِلَيْكَ شَوْقًا	فَمَا قَدْ طَارَ مَبْلُولُ الْجَنَاحِ !
وَوَجْهِكَ فَوْقَ قَدِّكَ عَرَفَانِي	بِإِثْمَارِ الْبُذُورِ مِنَ الرَّمَاحِ ^(٦)
لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سَرِّي وَدَمْعِي	لَقَى بَيْنَ اسْتِقَارٍ وَأَفْتِضَاحِ ^(٧)
يَحِقُّ لِمَنْ لَحَانِي فِيكَ ذِمِّي	وَحَقٌّ لِكَاتِبِ السَّرِّ أَمْتِدَاحِي ^(٨)
وَلَسْتُ سِوَى ابْنِ فَضْلِ اللَّهِ أَعْنِي	شَهَابُ الدِّينِ ذِي الْغُرْرِ الْمَلَّاحِ

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ . وكان شاعرا نحويا فقيها
تورخا قاضيا .

(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيله ، وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح الحجر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقى : المطروح من الشيء .

(٨) لحانى : عابى ولامنى .

له قلمٌ بفضلِ الله يحيا لنا يحيى به بعد أنتزاح
فما أدري انقشاً فوق طرس يُطرزُ أم مساءً في صباح ؟
أشدُّ من القضاء مضاءً أمر وأجرى في الخطوب من الرياح
فخذها بنت ليلتها عروساً تزف إليك كالخود الرِّداح^(١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علوى ولست أرى التـكسب بامتداح
فلى من أنعم الرحمن مالٌ يصونُ عن احتياج وأجتياح
ولم أقصد بمدحك غير رد أروضُ به الزمان عن الجراح

وكتب إلى القاضى جمال الدين معاتباً له على قصد الرحلة :

علام أردت تهجرنى علاماً وتوقظُ بالنوى إبلاً نياماً ؟
لعلَّك يا جليد القلب تبغى رحيلاً يُورثُ الدمع أنسجاماً^(٢)
فهل لا قيتَ في حلب هُموماً فتزُمعُ عن نواحيها أهتماً ؟
فلا تأخذ دمشقَ لها بديلاً أغيطاً ذاك منك أم أنتقاماً ؟
وإن تكُ بالفقر تُق لا تُبالى فهذا يمنعُ العين ألمنا
وإن ترحلْ لنيلٍ غنى فسهلٌ غناك هنا إذا أمسكت عاماً
وإن ترحلْ تريدُ تمام جاءٍ فه ؛ إني أحذرك التَّما
وإن ترحلْ رجاءٌ لاشتهار فكم من شهرة تُوهى العظاما
أقمُ في الأهل في رغد وطيب بأمرى ، واغتم ذاك اغتناما

(١) الرِّداح : البدينة . والخود : الفتاة الغضة .

(٢) القلب الجليد ، الغليظ الشديد : وانسجام الدمع : انصبابه .

٧ - صفي الدين الحلي^(١)

من مآجحه :

إنما الحيزبون والدردبيس^(٢) والطخا والنقاخ والعلطبيس^(٣)
لغة تنفر المسمع منها حين تروى وتشمئز النفوس^(٤)
وقبيح أن يذكر النافر الوحد^(٥) شيء منها ويترك المأنوس^(٦)
أين قولي : هذا كتيب قديم ومقالى عقققل^(٧) قدموس^(٨)
خل للأصمى جوب الفيا في نشاف تخف فيه الرؤوس^(٩)
إنما هذه القلوب حديد ولذيد الألفاظ مغناطيس

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خلع الربيع على غصون ألبان حللاً فواضها على الكشبان^(١٠)
ونمت فروع الدوح حتى صاحت كفل الكتيب ذوائب الأغصان^(١١)

(١) هو عبد العزيز بن علي شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفي ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التي لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافي . العلطبيس : الأملس البراق .

(٣) الوحشى من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٤) العقققل : الكتيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٥) الفيا في : مفردا ففاء ، وهى المفازة لاء فيها . جوب الفيا في : قطعها . ونشاف جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٦) الكشبان : جمع كتيب ، وهو التل من الرمل .

(٧) الكفل بفتحيتين : العجز .

وتتوَجَّتْ هَامُ الغُصُونِ ، وضَرَجَتْ خَدَّ الرِّياضِ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
وتنَوَّعَتْ بُسْطُ الرِّياضِ ، فزَهَرُهَا مَتَبَّانُ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ :
من أبيض يَبْقَى ، وأصْفَر فَاقِع ، أو أَزْرَق صَافٍ ، وأَحْمَر قَانِي
وَالظِّلُّ يَسْرِقُ فِي الْجُمَائِلِ خَطْوَهُ وَالغُصْنُ يَخْطُرُ خَطَرَةَ النُّشْوَانِ (١)
وَكَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ سَوْقُ رَوَاقِصٍ قَدْ قَيَّدَتْ بِسَلْسِلِ الرِّيحَانِ (٢)
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا نَحْوَ الْحَدَائِقِ نِظْرَةَ الْغَيْرَانِ (٣)
وَالطَّلَعُ فِي خَلَلِ السِّكَامِ كَأَنَّهُ حُلُلٌ تَفْتَقُّ عَنْ نُحُورِ غَوَافِي (٤)
وَالْأَرْضُ تُعْجَبُ كَيْفَ تَضْحَكُ وَالْحَيَا يَبْكِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ أَلْهَمَلَانَ (٥)
فَأَصْرَفَ هُمُومَكَ بِالرَّبِيعِ وَفَضْلِهِ ؛ إِنْ الرَّبِيعُ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي
أَيُّ ؟ وَقَدْ صَفَّتِ الْمِيَاهُ وَزَخَرِفَتْ جَنَاتُ مِصْرَ ، وَأَشْرَقَ الْهَرَمَانُ ،
وَأَخْضَرَ وَادِيَهَا ، وَحَدَّقَ زَهْرُهُ وَالنَّيْلُ فِيهِ كَكَوْثَرِ بَجْنَانِ
وَبِهِ الْجَوَارِي الْمُنْذَشَاتُ ، كَأَنَّهَا عِنْدَ الْمَسِيرِ تَهْمُّ بِالطَّيْرَانِ
وَالْمَاءُ يُسْرِعُ فِي التَّدْفُقِ كُلَّمَا عَجَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ النَّسِيمِ الْوَافِي (٦)

-
- (١) الجُمَائِلُ : جمع حميلة ، وهى رملة تنبت الشجر . يَخْطُرُ : يتأيل . النُّشْوَانُ : السكران .
(٢) سَوْقُ رَوَاقِصٍ ، مفرد السَّوْقِ : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .
(٣) الْغَيْرَانِ : شديد الغيرة .
(٤) الطَّلَعُ : طلع النخلة . وَالْخِلَالُ بفتحتين : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ،
وَالسِّكَامُ : وعاء الطلع . الْغَوَافِي : جمع غافية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الحلى .
(٥) الْحَيَا : المطر . وَالْهَمَلَانُ : الجريان .
(٦) الْوَافِي : الضعيف .

حتى إذا كُسِرَ الخَلِيجُ وَقُسِّمَتْ أَمْوَاهُ لُجَّتِهِ عَلَى الْخُلُجَانِ
 سَاوَى الْبِلَادُ كَمَا تَسَاوَى فِي النَّدَى بَيْنَ الْأَنَامِ مَوَاهِبِ السُّلْطَانِ
 مَلِكٍ إِذَا اكْتَحَلَ الْمُلُوكُ بَنُورَهُ خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ (١)
 قَدْ عَزَّ دِينَ مُحَمَّدٍ بِسَمِيهِ وَسَمَا بِنُصْرَتِهِ عَلَى الْأَذْيَانِ
 شَاهِدَتُهُ فَشَهِدَتْ لِقِيَانِ الْحِجَا وَنَظَرْتُ كَسْرِي الْعَدْلُ فِي الْإِيْوَانِ (٢)
 وَرَأَيْتُ مِنْهُ سَمَاحَةً وَفَصَاحَةً أَعْدَى بِفَيْضِهَا يَدَى وَلِسَانِي (٣)
 وَقَالَ يَهْنَى الْمُؤَيَّدُ بِالْقُدُومِ مِنَ الصَّيْدِ :

مَرْحَبًا بِالْحَيَا لِكُلِّ جَدِيبٍ لَا عَدَمْنَا نَوَالَهُ وَظِلَالَهُ (٤)
 مَلِكِ الْجُودِ وَالثَّنَا وَالْمَعَالَى وَالسَّجِيَّاتِ كُلِّهَا وَالْأَصَالَةَ
 رُقَّتْ حُلَّةُ الرِّيَاضِ فِخْلُنَا أَنْ رَوْضًا قَدْ أَسْتَعَارَ خِلَالَهُ
 وَأَبْتَغَى الْأَفَقَ لِلْعَلَا فَحَسْبُنَا أَنَّهُ يُنْعَلُ الْجَوَادَ هَلَالَهُ (٥)
 جَاءَ مِنْ صَيْدِهِ السَّعِيدِ كَبْدَرٍ مَا رَأَى الطَّرْفُ فِي السَّنَاءِ مِثَالَهُ (٦)
 كَمْ غَزَالٍ رَمَى ؛ فَلَوْ أَمَّنَ الشَّمَّ سَ مِنْ الْخَوْفِ مَا تَسَمَّتْ غَزَالَهُ (٧)

(١) الْأَذْقَانُ : مفردة ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحية .

(٢) الْحِجَا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .

(٣) أَعْدَى : من العدوى ، يريد أ كسب يده سباحة ولسانه فصاحة مثل سباحة الملك الممدوح وفصاحته .

(٤) الْحَيَا : المطر . النَوَال : العطاء .

(٥) يُنْعَلُ الْجَوَادَ هَلَالَهُ : يجعل الهلال نعلًا للجواد .

(٦) السَّنَاءُ : الرفعة .

(٧) الْغَزَالَةُ : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف صيد الغزلان ، فلو أراد

ألا يجعل الشمس مما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

ولعمري لو استجار به ألوح شُئْن — بعدما استقلت — نباله (١)
 أيد الله ملكه ووقاه وحى سر به وصان جلاله (٢)
 وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتي المغول وحر بهم عند ما أغاروا على ماردين :
 أَمِنْ حَجَرٍ فَوَادِكْ أَمْ حَدِيدُ فَمِيهِ عَلَى الْوَغَى بَأْسٌ شَدِيدُ (٣)
 وَأَطْوَادُ حُلُومِكَ أَمْ جِبَالُ تَمِيدُ الرَّاسِيَاتُ ، وَلَا تَمِيدُ (٤)
 لَأَنَّكَ كَلَّمَا حَاوَلْتَ أَمْرًا يُصَوِّبُ فَعَلَّكَ الرَّأْيُ السَّيِّدُ
 طَلَعْتَ عَلَى الْعُدَاةِ ، وَأَنْتَ شَمْسٌ فَذَابَ بِحَرِّ مَوْقِعِهَا الْجَلِيدُ
 أَغْرَتَ عَلَى حِمَاهُمْ غَيْرَ عَادٍ وَلَا قَوْا مِنْكَ مَا لَاقَتْ ثَمُودُ (٥)
 بِجَيْشٍ تَرْجُفُ الرَّايَاتُ فِيهِ وَتَحْقِيقُ دُونَ مَقْدَمِهِ الْبَنُودُ
 وَتَهْتَزُّ الذَّوَابِلُ فِيهِ عَجْبًا كَمَا اهْتَزَّتْ مِنَ الْمَرْحِ الْقُدُودُ (٦)
 عَجِلْتَ إِلَى قَرَاءِهِمْ بِعِزِّهِ يَذْنُوكَ الْأَمَدُ الْبَعِيدُ
 وَكَمْ وَإِنْ يَعُدُّ الْعَجْزَ حَلَمًا فَيَنْدَمُ ؛ وَالنَّدَامَةُ لَا تُفِيدُ (٧)
 وَمَنْ يَرَى مَا يُرِيدُ وَكَفَّ جُبْنًا رَأَى مِنْ بَعْدِهِ مَا لَا يُرِيدُ

(١) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .

(٢) حوى الله سر به : حفظ نفسه .

(٣) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .

(٤) الطود : الجبل . حلوم : مفردة حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشاخنة الثابتة .

(٥) عاد : معتد ظالم . وفي السكلمة إشارة إلى (عاد) المذكورين في القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمرود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

(٦) الذوابل : الرماح الرقيقة . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس

(٧) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال في فرسٍ أَدْهَمَ مُحَجَّلٍ :

ولقد أروحُ إلى القنيصِ وأعتدى
رامَ الصباحِ من الدجى استنقادهُ
فكأنه صَنِغُ الشَّيْبَةِ هَابُهُ
وخطُ المَشِيبِ ، فجاءهُ من أسفلِ
في متن أَدْهَمَ كالظَّلامِ مُحَجَّلٍ
جَسَدًا ، فلم يَظْفَرْ بِغَيْرِ الأَرْجُلِ (١)

وقال في وصف عُودٍ طَرَبَ :

وعُودُ به عادَ السرورُ لأنه
يُغَرِّبُ في تَغْرِيدِهِ فكأنه
حَوَى اللّهُوَ قَدَمًا وهو رَيَّانُ ناعمٍ
يُعِيدُ لَنَا ما لَقَّنتُهُ الحَمَامُ

٨ — جمال الدين بن نباتة المصري (٢)

قال يرثى ولداً له مات صغيراً :

اللهُ جارُك إنَّ دَمْعِي جارِي
لما سكنتَ من الترابِ حديقةً
شَيَّانَ ما حالى وحالُك : أنتَ في
خَفَّ النَّجَا بك يا بُنَى إلى الشَّرَى
يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوطارِ (٣)
فاضتُ عليك العينُ بالأنهارِ
غُرِفَ الجِنانِ ، ومُهَجَّتِي في النارِ
فسبقتني ، وثقلتُ بالأوزارِ (٤)

(١) رام الصباح من الدجى استنقاده : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدهم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، في حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفي بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر في شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو في هذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامي في قصيدته التي رثى بها ولدا له مات صغيرا كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك في هذا الجزء

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها .

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

ليت الردى إذ لم يدعك أهاب بي ؛ حتى ندوم معاً على مضمار^(١)
ليت القضا الخاوى تمهل ورده حتى حسبت عواقب الإصدار
ما كنت إلا مثل لحفة بارق وأغرى الجفن بالإمطار
أبكى ما بككت الحمام هديلها وأحن ما حنت إلى الأوكار^(٢)
أبكى بمحمر الدموع ؛ وإنما تبكى العيون نظيرها بنضار
قالوا : صغير ! قلت إن ! وربما كانت به الحسرات غير صغار^(٣)
وأحق بالأحزان ماض لم يسىء بيد ولا لسن ولا إضمار^(٤)
نأى اللقا ، وجماء أقرب مطرحاً يا بعد مجتمع وقرب مزار !
لهفى لغصن راقى بنباته لو أمهله الترب للإثمار
لهفى لجوهر خفت ، فكأننى حجبها من أدمى ببحار
لهفى لساو حار فيه تجلدى واحترى بالكوكب السيار !
سكن الثرى ؛ فكأنه سكن الحشا من قرط ما شغلت به أفكارى
أعزز على بأن ضيف مسامعى لم يحظ من ذاك اللسان بقارى !^(٥)
أعزز على بأن رحلت ولم تخض أقدام فكيرك أنجر الأشعار
أعزز على بأن نثرت على الثرى وعليك من دمعى كدر نثار^(٦)

(١) أهاب بي : دعانى .

(٢) الهديل هنا : أب للحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تكيه .

(٣) إن : أى نعم .

(٤) اللسن بكسر اللام : اللسان .

(٥) أعزز على : أى ما أعز ذلك وما أصعبه . وقارى : من القرى وهو ما يقدم للضيف

الطعام ، أو من القراءة فى الكلمة تورية .

(٦) نثار : أى منشور .

أُبْنَى ، إِنَّ تُكْسَ التُّرَابَ فَإِنَّهُ غَايَاتُ أَجْمَعَنَا ، وَلَيْسَ بَعَار
 مَا فِي زَمَانِكَ مَا يَسُرُّ مُؤَمِّلًا فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْخِيَالُ السَّارِ
 لَوْ أَنَّ أَخْبَارِي لَدَيْكَ تَوَصَّلْتُ لِبَكَيْتَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ أَخْبَارِي
 أَحْزَانُ مَذْكُرٍ ، وَسَلْوَةٌ مُفْرَدٍ ، وَمُقَامُ مَضْيَعَةٍ ، وَذُلُّ جَوَارِ
 أُبْنَى ، إِنِّي قَدْ كَنَزْتُكَ فِي الثَّرَى فَانْفَعْ أَبَاكَ بِسَاعَةِ الْإِقْتَارِ (١)
 أُبْنَى ، قَدْ وَقَفْتُ عَلَى حَوَادِثُ فَوْقَنَ مِنْ طَلَلٍ عَلَى آثَارِ
 وَمَضَى الْبَيَاضُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا لَكِنِّهَا أَبَقَتْهُ فَوْقَ عِذَارِي (٢)
 نَمَّ وَادِعًا ، فَلَقْدَ تَقَرَّحَ نَاطِرِي سَهْرًا ، وَنَامَتْ أَعْيُنُ الشُّمَارِ
 أَرَعَى الدُّجَى وَكَانَ ذَيْلُ ظَلَامِهِ مُتَشَبِّثٌ بِالنَّجْمِ فِي مِشْمَارِ
 خَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى الْمَجَرَّةِ سَجْفَهُ أَمْ قُسِّمَتْ شَمْسُ النَّهَارِ دَرَارِي (٣)
 تَبًّا لِعَادِيَةِ الزَّمَانِ عَلَى الْفَتَى ؛ فَلَقْدَ حِذَرْتُ وَمَا أَفَادَ حِذَارِي
 وَحَوَيْتَ دِينَارًا بِوَجْهِكَ فَانْتَحَى صَرَفُ الزَّمَانِ ، فَرَاخَ بِالْدِينَارِ (٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه في والده المؤيد :

هَذَا مَحَا ذَاكَ الْعَزَاءُ الْمَقْدَمَا فَمَا عَبَسَ الْحَزُونُ حَتَّى تَبَسَمَا
 ثُغُورُ ابْتِسَامٍ فِي ثُغُورِ مَدَامِجِ شَيْهَانٍ لَا يَمْتَنَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا

(١) لعله يريد بساعة الإقترار يوم الحساب ، أى الإقترار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له في ذلك اليوم ذخراً .

(٢) يشير إلى مشييه . والعذار : الشعر المحاذى للأذن .

(٣) المجرة : منطقة في السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدراى : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تنأثرت بنجومها ، هى التى أراها ، وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدینار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارى الدمع والبشرُ واضحٌ
سقى الغيثُ عنا تربةَ الملكِ الذى
مليكان : هذا قد هوى لضريحه
ودوحه ملك شاذوى تكافأت
فقدنا لأعناق البرية مالكا
إذا الأفضل الملكُ اعتبرتَ مقامه
أعاد معانى البيتِ حتى حسبته
وناداهُ ملكٌ قد تقادمَ إرثه
تقابل منه مقلة الدهرِ سوءُ ددا
ويقسم فينا كل سهم من الندى
كأنَّ ديارَ الملكِ غابَ إذا انقضى
كأن عماد البيتِ غيرُ مقوَّض
نهضتَ فما قلنا : سيادةً معشرِ
أما والذى أعطاك ما أنتَ أهلهُ
وقد أنشَرَ الإسلامَ بالخلفِ الذى
فإن يكُ منَ أيوبِ بحمٍّ قد انقضى
وإن تلكَ أوقات المؤيد قد خلت
عليه سلامُ الله ما ذرَّ شارق

كوابل غيثٍ فى ضحا الشمس قد هوى
تدانتُ له الدنيا وعزَّ به الحمى
برغمى ، وهذا للأسرة قد سما
فغنصن ذوى منها ، وآخرُ قد نما^(١)
وشمنا لأنواع الجميل مُتمِّما
وجدتَ زمانَ الملكِ قد عاد مثمما
بوزن الثنا والحمد بيتاً منظماً^(٢)
فقام كما ترضى العلا وتقدِّما
صميماً ، وتنضو الرأى عضباً مُصمِّماً
ويبعث للأعداء فى الروح أسهما^(٣)
به ضيغم أنشا به الدهر ضيغاً^(٤)
وقد قت يا أركى الأنام وأحزما
تداعتُ ، ولا بُدَّيان قوم تهذِّما
لقد شاد من عليك ركناً مُعظماً
تمكَّن فى عليائه وتحكما
فقد أطلعت أوصافك الغرَّ أنجما
فقد جدَّدت عليك وقتاً وموسماً
(ورحمته ما شاء أن يترجما)^(٥)

(١) شاذوى : نسبة إلى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٢) البيت : أى بيت الملك .

(٣) سهم من الندى : أى نصيب .

(٤) الضيغم : الأسد .

(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال في الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابنا دَارُكُمْ والعيشُ نَعْمَانُ والسَّفْحُ دَمْعِي ، ودارُ القلبِ حَرَّانُ (١)
أشكو اشتياقاً ، وما بالوصل من قَدَمٍ كَأَنَّ وَصْلِي لَفَرَطِ الْحُبِّ هَجْرَانُ
وَرُبَّمَا رُمْتُ أَنْ أَشْكُو الشَّهَادَ إِلَى عَدْلِ الْمَنَامِ ، وَقُلْتُ : النَّوْمُ سُلْطَانُ
يَأْيِهَا النَّاصِرُ السُّلْطَانُ لَا غَمَضْتُ عَيْنٌ لَهَا عَنْ سَنَى مُرَّآكَ سُلْوَانُ (٢)
كَمْ فِي مَلُوكِ الْوَرَى فَضْلٌ وَمَعْرِفَةٌ كَانُوا ، وَمِثْلَكَ فِي ذَا النَّحْوِ مَا كَانُوا
إِنْ يَمُضُ كَشْرَى فِكَمْ إِيْوَانٌ مَعْدَلَةٌ لَدَيْكَ قَدْ زَاهِ يُمْنٌ وَإِيْمَانُ
أَمَرْتَ شِعْرِي يَا خَيْرَ الْمَلُوكِ عَلَى أَشْعَارِ قَوْمٍ ، فَبَلَى أَمْرٌ وَدِيْوَانُ

٩ — محي الدين بن قريظ الحموي

قال يصف روضاً :

سَقِيَا لَهُ رَوْضًا قُدُودُ غُصُونِهِ تَحْتَالُ فِي الْأَبْرَادِ مِنْ أَوْرَاقِهَا (٣)
جَنَّتْ بِهِ وَرُقُ الْحَمَامِ صَبَابَةً أَوْ مَا تَرَى الْأَغْلَالَ فِي أَعْمَاقِهَا ؟ (٤)

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضاً : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أي سار ناعماً ليناً . حران : بلد شمالي الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعها : تحتال : تعجب بنفسها مرحاً ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أوراق وورقاء . والحمامة الورقاء : التي لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفردة غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق لأن المجنون كان يوضع في أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضاً :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ لَمَّا تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنْ النَّدى يُحْمَانُ^(١)
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أُنَامِلِ الْأَغْصَانِ

وقال يصف نهرا :

وَرَبَّ نَهْرٍ لَهُ عَيُونٌ تَحَارُّ فِي وَصْفِهِ الْعَيُونُ
لَمَّا غَدَا الرِّيقُ مِنْهُ عَذْبًا مَالَتْ إِلَى رَشْفِهِ الْغُصُونُ^(٢)

١٠ — على بن محمود المبارك^(٣)

قال يذم دار سكناه :

دار سكنتُ بها أَقْلُ صفاتها أن تَكْثُرَ الحشراتُ في جَنَبَاتِهَا
الخير عنها نازِحٌ متباعدٌ والشرُّ دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سباتها
وتبيتُ تُسَعِّدها براغيثٌ متى غنت لها رَقَصَتْ على نغماتها^(٤)
رقص بتنغيصٍ ولكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذُبَابٌ كالضَّبَابِ يسدُّ عِيَّ نَ الشَّمْسِ ما طَرَبَى سوى غَفَاتِهَا
أين الصَّوَارِمُ والقَنَا من فَتَسْكُهَا فينا وأين الأسدُ من وثباتها ؟

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة الآلى .

(٢) الرشف : المص .

(٣) هو على بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٤) تسعدها : تعاونها .

وبها خفافيش تطيرُ نهارَها مع ليلها ليست على عاداتها
شوكاتها فاقت على سُمرِ القنَا فاعجب لِشِدَّةِ فتكها وثباتها
وبها من الجُرْذَانِ ما قد قصَّرت عنه العِتاقُ الجُرْدُ في حَمَلاتها^(١)
ولها زناير تُظنُّ عقاربا لا براء للمسموم من لدغاتها
ولها عقارب كالأقارب رُتِعَ فينا حمانا الله لدغ حَمَاتِها^(٢)

١١ - ابن سعيد المغربي^(٣)

قال بصف الجيزة :

إن للجيزة في قلبي هوى لم يكن عندي للوجه الجميل
يرقصُ الماءُ بها من طربٍ ويميل العنن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها فلذا تصفر في وقت الأصيل

١٢ - محمد بن سليم المصري^(٤)

كتب إلى السراج الوراق في حماره سقط في بُر فمات :

يفديك جَحْشُكَ إذ مضى مُتَرَدِّياً وبقالٍ يُفدى الأديبُ وطارف
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى تبنا وراح من الظما كالتائف
ورأى البؤيرة غير خافٍ ماؤها فرمى حشاشة نفسه للخواوف
قوم يموت حمارهم عطشاً لقد أزرؤا بحاتم في الزمان السالف

(١) العتاق : الحيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .

(٢) الحمات : جمع حمة ، وهى إبرة العقرب التى تضرب بها .

(٣) توفى سنة ٦٧٣ هـ .

(٤) هو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

١٣ — ابن الجنان^(١)

قال يصف روضاً على نهر :

ودوحٌ بدت معجزاتُ له تبينُ عليه وتدعو إليه
جرى النهرُ حتى سقى غصنه فمال يقبلُ شكراً يديه
وكفُّ الصَّبَا صنعت حليته فأضحى الحمامُ ينادي عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضنى فحلَّ طيبُ الدياجي لديه
وجاء النسيمُ له عائداً فقام له لا ثماً معطفيه

١٤ — محمد بن الحسين^(٢)

قال في نوح الحمام :

ولقد رأيت الأراك حمامةً تبكي فتُسعدُنِي على أحزاني^(٣)
تبكي على غُصْنٍ وأندبُ قامةً فجميعنا يبكي على الأغصان
صرَّعَ الزمانُ وحيدَها فتعلَّلتُ من بعده بالنوح والأحزان
تخشى من الأوتارِ وهي مُروعةٌ منها ، فلمْ غَنَّتْ على العيدان ؟

(١) توفي سنة ٦٧٥ هـ .

(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفي سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) الأراك : شجر يستاك به .

١٥ - محمد بن الحسن الصائغ العروضي^(١)

قال يتشوق - وهو بمصر - إلى دمشق :

لى نحو ربك دائماً يا جلقُ شوقٌ أكادُ به جوّى أتمزقُ
وهولُ دمع من جوّى بأضالعِ ذا مُغرقٌ عيني وهذا محرقُ^(٢)
أشفاقُ منك منازلٍ لم أنسها أنى !؟ وقلبي في ربوعك موثقُ

١٦ - ابن دقيق العيد^(٣)

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى وقربَ منى فى صباى مزاره
فأخذ من عصرِ الشَّبَابِ نشاطه وأخذ من عصرِ المشيبِ وقاره

وقال فى الشكوى :

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدةً وقعتُ بها فى حيرةٍ وشَتَاتِ
فإن بُحْتُ بالشكوى هتكتُ مروءةً وإن لم أبح بالصبرِ خفتُ مَمَاتِي
وأعظمُ به من نازلٍ بمِلَّةٍ يزِيلُ حياى أو يزِيلُ حياى

وقال فى بعض الوزراء :

مقبِلٌ مدبرٌ بعيدٌ قريبٌ محسنٌ مذنبٌ عدوٌّ حبيبٌ
عجبٌ من عجائب البرِّ والبحرِ ونوع فرْدٌ وشكلٌ غريبٌ

(١) توفى سنة ٧٢٢ هـ . (٢) الجوى : شدة الوجد .

(٣) هو محمد بن على بن وهب الإمام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ .

١٧ — مجير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بعثَ النسيمُ رسالةً بقدومه للروضِ فهوَ بقُربِهِ قَرَحَانُ
ولطيب ما قرأ الهزارُ بشدوه مضمونها مالت له الأغصانُ^(١)

وقال في وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تَقَرَّبَ الشرعَ إذا لم تكن تَحْبِرُهُ فهوَ دقيقٌ جليلُ^(٢)
وَوَكَّلَ العِزَّ الذى وَجَّهَهُ على جناحِ الأمرِ أقوى دليل
ولا تَمَلْ عنه إلى غيرِهِ وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال فى روضة :

أرضٌ كساها القطرُ حَلَّةً سُنْدُسٍ رُقِمَتْ لها طُرُرٌ من الغُدرانِ^(٣)
وفدُ النسيمِ أضاعَ نَشْرَ رياضِها فالورقُ تَشُدُّه بكلِّ مكانٍ^(٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كَمالَ الدين يا مولاي يا مَنْ يَعْزُّ البحرَ فى بَذلِ النوالِ^(٥)
أتيتُ حاجةً ؛ فاغنمَ ثَمائى عليك بها وشُكْرِى وابتهالى

-
- (١) الهزار بفتح الهاء : طائر . (٢) تحبّره : تعلمه . دقيق : أمر غامض .
(٣) القطر : المطر . والمعنى أن القطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه
الحلة طرراً ، أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر .
(٤) أضاع : إما ضيعه أو أفقده ، وإما بثه فى الجو ، وضاع الطيب : انتشرت رائحته .
والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .
(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا نجعلُ سواكَ لها ؛ فإنِّي عليكَ بِنُجُجِهَا وَقَعَ اتِّسَالِي
أَيَجْمَلُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ : إِنِّي أَنَيْتُ لِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا لِي ؟
وَأُضْمِحُ بَيْنَهُمْ مَثَلًا لِأَنِّي أَنَا نِ الْقِصُّ مِنْ جِهَةِ الْكَمَالِ

وقال في رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نَأَيْتُمْ فَلَا قَلْبِي عَنِ الْحُزْنِ مُقْصِرٌ عَلَيْكُمْ وَلَا جَفْنِي بِحِفِّ لَهْ غَرْبٍ (١)
وَأَفْلَاكُ لَدَائِي تَعَطَّلَ سَيْرُهَا وَهَلْ فَلَكُ يَسْرَى إِذَا عَدَمَ الْقُطْبُ (٢)

وقال في التشوق :

لَا تَبْعَثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مِنْ أَرْضِكُمْ ! فَلَهَا عَلَى جَمِيلٍ : (٣)
خَاضَتْ دُمُوعَ الْعَاشِقِينَ وَعَرَّجَتْ عَنْهُمْ إِلَى وَثُوبِهَا مَبْلُولٍ

وقال في الغزل :

وَعِيرَنِي بِالشَّيْبِ قَوْمٌ أَحْبَبُّهُمْ فَقُلْتُ وَشَأْنُ الْعَاشِقِينَ التَّجَمُّلُ :
بَعَثْتُمْ إِلَى رَأْسِي الْمَشِيبَ بِهَجْرِكُمْ وَمَهْمَا أَتَى مِنْكُمْ عَلَى الرَّأْسِ يُحْمَلُ
وَقَالَ فِي لَيْلَةِ سَكْرٍ :

وَلَيْلَةَ بَتِ أَسْقَى فِي غِيَاهِبِهَا رَاحًا تَسْلُ شَبَابِي مِنْ يَدِ الْهَرَمِ (٤)
مَا زِلْتُ أَشْرِبُهَا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى غَزَالَةِ الصُّبْحِ تَرَعَى نَرْجَسَ الظُّلَمِ (٥)

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .

(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .

(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهى ندية بليلة .

(٤) الغياهب ، الظلمات . الراج : الحجر .

(٥) غزالة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لَمَّا جَسَسْتُكَ بِالْمَدِيحِ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرَى بِأَنْكَ خَامِلٌ فِي النَّاسِ ^(١)
نَادَيْتُ لَمَّا أَنْ جَسَسْتُكَ بِالْهَجَا : أَكْلِبْ خَذَهَا مِنْ يَدَيِ جَسَّاسٍ !

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لَا حَظَّ الْمَنْشُورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ أَلْ مَزُورٌ قَالَ ، وَقَوْلُهُ لَا يُدْفَعُ : ^(٢)
فَتَّحْ عُيُونَكَ فِي سِوَايَ ؛ فَإِنِّي عِنْدِي قُبَالَةٌ كُلَّ عَيْنٍ إِصْبَعُ

وقال في روضة :

أَيَا حُسْنَهَا مِنْ رَوْضَةٍ ضَاعَ نَشْرُهَا فَنَادَتْ عَلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ طَيُورُ ^(٣)
وَدُولَابُهَا كَانَتْ تَعُدُّ ضَلُوعَهُ لَكثْرَةِ مَا يَبْكِي لَهَا وَيَدُورُ

وقال أيضاً :

لِمَ لَا أَمِيلُ إِلَى الرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا وَأُعِيشُ مِنْهَا تَحْتَ ظِلِّ صَافِي ^(٤)
وَالزَّهْرُ يَلْقَانِي بِشَفَرٍ بِاسِمٍ وَالْمَاءُ يَلْقَانِي بِقَلْبٍ صَافِي

(١) الجسّ بالشيء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جسّاس ابن مرة . سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضاً صيغة مبالغة من جسّ ففي كل من كليب وجسّاس تورية .

(٢) المنشور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد ، قبالة الشيء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعني انتشرت راعمها الطيبة . الدولاب . المنجنون التي تديره الدابة :

(٤) الظل الصافي : المتسع .

١٨ — الشهاب الخفاجي^(١)

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبي^(٢) :

حَتَّامٌ يَغْزُونِي صُدُودُهُ	والصبرُ قد كثرت جنودُهُ ^(٣)
لم أدر : فاترُ جفْنِهِ	والخضرُ أسقمُ أم عهودُهُ ^(٤)
نشوانُ يعبثُ بي كما	عبثت بآمالِي وعودُهُ ^(٥)
لولا مياهُ الحُسنِ جا	لت فيه لا حترقتُ خدودُهُ
كالصَّبِّ لولا دمعُهُ	يَهْمِي لأحرقهُ وقودُهُ ^(٦)
يُخْفِي الهوى وعيونه	بغرامه المُضْنِي شهودُهُ
فسقى رياضَ الحُسنِ من	دمعي حيا يَهْمِي مديده ^(٧)
زمنٌ بحِمدِ اللّهُ قد	نُظِمَتْ على نسقي عقوده ^(٨)
إذ دُوحٌ أنسى يانعٌ	بكثوسنا انفتحتُ وروده ^(٩)
والسكَّاسُ نجم لاح في	فلكِ المسرَّةِ لي سَعُودُهُ

(١) ولد في سرياقوس وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالأستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد علي هذه القصيدة بقصيدة تأتي في ص ١٣٩ .

(٣) حتام أصلها : حتى ما . فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزوني : يسير إلى قتالي وانهبني . والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حاد النظر . والخضر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . ويعبث بي : يلعب بي .

(٦) الصب : المشتاق الذي يكابد حرارة الشوق . يهْمِي : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

يَصِفُو فَيُحْلِي ذَكَرَ مَنْ قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابنُ قاسمٍ الَّذِي ما زال في نَعَبِ حَسُودِهِ

١٩ - السيد عبد الرحيم العباسي

قال يصف ضعفه :

أُرْعَشَنِي الدَّهْرُ أَيَّ رَعَشٍ وكنتُ ذا قوة وبَطَشٍ
قد كنتُ أَمْشِي ولستُ أَعْيَا فصِرتُ أَعْيَا ولستُ أَمْشِي

وقال يشكو من الأصدقاء :

مالي أرى أحبابنا في الناس صاروا كمثلِ حَبَابِنَا في الكاس^(١)
بيننا يَرُوقُكَ عند أولِ نَظْرَةٍ كاللُّؤلُؤِ المتناسِقِ الأجناسِ
فإذا أعدتَ الطرفَ فيهم لم تجد شيئًا ؛ وصار رَجَاؤُهُم كالِيَاسِ

وقال يصف الصداقة الحق :

لست عن ودِّ صديقي سائلًا غيرَ قلبي فهو يَدْرِي ودَّه
فكما أعلم ما عندي له فكذا أعلم مالي عنده

وقال في لثيم ابتدأه بالتحية :

رأيتُ لثيمَ قومٍ في مَمَرٍ وبين يَدَيْهِ أشخاصُ لثامٍ
فسلمَ من جَهْلِهِ ابتداءً فقلتُ له : متى كَسَدَ السَّلامُ ؟^(٢)

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .

(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال في الحكمة :

حالُ المُقَلِّ ناطقٌ عَمَّا خَفَى مِنْ عَيْبِهِ
فَإِنْ رَأَيْتَ عَارِيًّا فَلَا تَسْلَ عَنْ ثَوْبِهِ

٢٠ - محمد بن القاسم الحلبي

قال يجيب الشهاب الخفاجي على قصيدته التي تقدمت (١) :

للظبي لفتته وجيده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذي في ثغره منه نصيده (٢)
وبوجهه شرك العقول ؛ فأى عقل لا يصيده !؟ (٣)
في كل يوم للهوى من حسنه معنى يزیده
يستوقف الأبصار حتى لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم في الجبال فنال منه ما يريد
ما زال يسطو في الوري من فعل مقلته جنوده
حتى ظننا أنه بالأجر آثره شهيده
يبدي الصدود وكلما صانعه عنه يعيده (٤)
أتراه يجحد ما لقيت به وهل يغني ججوده
وهو النهار إذا بدا من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا « شها ب » الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو في سماء المجد زينها وجوده ؟

(٢) النصيد : المتسق المرصع .

(١) انظر ص ١٣٧ .

(٣) الشرك : المصيدة .

(٤) صانعه عنه : أي حاولت أن أردده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعت المطا مع عنه واستعفى حسوده
 وقاد فكر ؛ أى خط ب ليس يُطْفئه وقوده^(١)
 كرمته له هم إلى غير الملا ليست تقوده
 يزهو على جيد الزمان بما ينمقه فريده^(٢)
 من كل سجع من مزا يا الحسن قد نظمت عقوده
 وإذا ذكرت الشعر فهو — وكما سمعت به لبيده^(٣)
 قد كنت أجهد في ابتغاء لقاء أيام تفيده
 حتى وفته لى بالذى قد كان فى أملى وعوده
 فلقيته البحر الخضم يفيض للعافين جوده
 متدفقا بالفضل تخشى أن يفرقها وفوده
 مولاي ؛ غذرا إنها من خاطر قد جف عوده
 بعدت بقول الشعر فى عهد الصبا حينما عهده
 لى دُعاك ؛ وأى مو لى لا تلييه عبيده ؟
 ماضيه عيد نأى مادام من لقياك عيده

٢١ — أحمد بن على العلقمى

قال يتمدح :

بإبصارنا وجهك المذهب يكاد سنى برقه يذهب
 وأشواقنا فيك لا تنقضى وشمسُ جمالك لا تغرب

(١) وقوده : اتقاده .

(٢) الفريد : صغار الأولاد تفصل بين العقد المنظوم والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه الممدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل فى جيد الزمن .

(٣) لبيد : شاعر جاهلى وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك في الماء مستودع وأشربه كل من يشرب
وفي كل عين وقلب به مشيراً لك المنزل الأرحب
وذاذك جنة أهل النهى ونفسك عنصرها أطيب
فمن غير نطقك لا نشتفى ومن غير ذاك لا نظرب
وكم لك من رتب في العلا تعالى العلا إذ لها ينسب^(١)

٢٢ - عبد الرحمن بن عماد الدين

قال في الموت وطلب الرحمة :

قد شاب فودي حين شاب فؤادي فكأنما كنا عل ميعاد^(٢)
حسن الخوانم أرتجى من محسن قد منّ لي قدماً بحسن مبادى
وعمادي التوحيد فهو وسيلتي في نيل ما أرجوه عند معادي^(٣)
إن قيل : أى سفينة تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زاد
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد ، فمن هو ابن عماد

٢٣ - الأمير محمد بن منجك

قال متغزلاً :

تناهى عنه الأمل وقصر دونه العذل^(٤)
رشأ يفتر عن برّاد تسكاد تذيبه القبل^(٥)

(١) أى أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .

(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلي الأذن .

(٣) المعاد : الحياة الأخرى .

(٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .

(٥) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبي إذا قوى ومشى مع أمه ، يفتر : يضحك ضحكاً حسناً . البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان ، القبل : جمع قبلة .

يَخَامِرُ عَظْمَهُ ثَمَلٌ يَمِيلُ بِهِ وَيَعْتَدِلُ^(١)
يُمَثِّلُ مَا يَرُوقُ لَنَا بِصَفْحَةٍ حَذَّهَ الْخَجَلُ
فَلَيْتَ بِهِ كَمَا انْصَلَّتْ حَشَايَ الطَّرْفِ يَتَصَلُ^(٢)
إِذَا مَا الْخِذْرُ أَبْرَزَهُ تَنَاهَبُ حُسْنُهُ الْمُقَلُ^(٣)
لَقَدْ أَغْرَاهُ فِي تَلَفِي شَبَابٌ نَاضِرٌ خَضِلُ^(٤)
وَقَدْ حَشَوَهُ هَيْفٌ وَطَرَفٌ مَلُوءٌ كَجَلِ^(٥)

٢٤ — إبراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة في الغزل :

حَدَّثْتُ بَانَةَ الْحِمَى عَنْ صَبَاها عَنْ ثَنِيَّاتٍ مَكَّةَ عَنْ صَفَاها^(٦)
أَنَّ عَصَرَ اللَّقَاءِ آنَ وَوَافَى ، وَزَمَانَ النَّوَى انْقَضَى وَتَنَاهَى^(٧)
وَنَسِيمَ الصَّبَا يُؤَدِّي الْأَمَانَا تِ إِلَى أَهْلِهَا كَمَا قَدْ رَوَاهَا
كَمْ نَسِيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوبًا شَفَهَا الْبُعْدُ وَالنَّوَى فَشَفَاها^(٨)

-
- (١) يَخَامِرُ : يخالط . والعطف : الجانب . والثمل : السكر .
(٢) أى فليت عيني تراه وتتصل به ، كما انصل به قلبي عشقاً ومحبة .
(٣) الخدر : ستر يمد للمرأة من ناحية البيت . وتناهب أصلها ، تناهب ، حذفت إحدى التامين تخفيفاً ، ويجوز أن تكون فعلاً ماضياً . أى نهبت .
(٤) الخضل ، الندى المبتل ، يريد النعومة واللين .
(٥) القد : القامة . الهيف : ضمور البطن والخصر .
(٦) البانة : واحدة البان ، شجر معروف . الحمى : ما يحمى ويحفظ من كل شيء .
(٧) آن : حان وقرب . ووافى : أتى . تناهى : انتهى .
(٨) شفها البعد : هزلها .

تَعْرِفُ الْعَاشِقِينَ مِنْهَا نَسِيًّا تَ ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهَا بِشَدَّاهَا^(١)
 إِنَّ أَيْدِيَ الْفِرَاقِ جَارَتْ عَلَيْنَا فِي قَضَاءٍ فَحَسَبُهَا وَكَفَاهَا
 آهَ وَأَوْخَشَتْ لِأَخْشَاءِ قَلْبِي وَقَلِيلٌ قَوْلِي عَلَى الْبُعْدِ : آهَا

٢٥ - نور الدين العسيلي

قال يصف دولاباً^(٢) :

ودولابٍ مررت به سَحِيرًا يَنْ كَأَنَّهُ الصَّبُّ الْمَرْوَعُ^(٣)
 غَدَتِ أَضْلَاعُهُ تَنْهَدُ سُقْمًا وَيَفْنَى جِسْمُهُ صَبُّ الدُّمُوعِ^(٤)
 بدور كمن أضلَّ الإلفَ منه وذاق تشتت الشملَ الجميع^(٥)
 فقلت له : فديتُك من كئيب كساه الهمُّ أثوابَ الخُشُوعِ
 علام أراك تبكي كلَّ وقتٍ وتهتِفُ في المنازلِ والرُّبُوعِ^(٦)
 فقد قرّبت لي حُزناً بعيداً ونحاني نواحك عن هُجُوعِ^(٧)
 فقال : أما علمت بأنَّ مثلي خَلِيقٌ بالصَّبَابَةِ والوَلُوعِ ؟^(٨)
 فإني كنت في روضٍ رفيعاً أبيتُ مِنَ الْأَزَاهِرِ فِي جُوعِ^(٩)

-
- (١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .
 (٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهي كلمة دخيلة عربيها العرب .
 (٣) سحيراً : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع من راعه الهم وأفزعته .
 (٤) صب الدموع : انسكابها .
 (٥) أضلَّ الإلف : فقدته . تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .
 (٦) تهتف : تصيح . والرُّبُوع : جمع ربع وهو الدار .
 (٧) نحاني : أبعدني . الهجوع : النوم ليلاً .
 (٨) الصبابة : رقة الشوق وحرارته .
 (٩) الرفيه : المستريح المتنعم .

- ولى فى المُنْتَمَى أغراقُ صِدْقِ أَصُولُ انْجَبَتْ أَزْكَى فَرُوعِ^(١)
 إِذَا مَا الْوَرْدُ قَابَلَنِى وَحَيًّا تَضَرَّجُ وَجَنَّتَاهُ بِالنَّجِيعِ^(٢)
 وَيَضْفَرُ الْبَهَارُ لَدَى خَوْفًا كَهْفَرَةِ عَاشِقٍ صَبَّ مَرُوعِ^(٣)
 وَإِنْ قَصَدَتْ بَنُو الْآدَابِ رَبْعِي أَجُودُ مِنَ النَّشَارِ عَلَى الْجَمِيعِ^(٤)
 فَقَيِّضْنِي الشَّقَاءَ إِلَى غَيِّ شَدِيدِ الْبَطْشِ جَبَّارِ قَطُوعِ^(٥)
 فَأَقْمَانِي عَلَى رَأْسِي صَرِيهًا وَأَنْتَ مُشَاهِدُ حَالِ الصَّرِيعِ
 وَقَطِّعْ لُطْفَ أَوْصَالِي بِعُنفٍ وَصَارَ يَدُوقُ عَظْمِي فِي ضُلُوعِي^(٦)
 فَصُرْتُ أَرَى الَّذِي قَدْ كَانَ دُونِي أَنْفَ ، وَصَارَ ذَا شَاوٍ رَفِيعِ^(٧)
 عَلَى قَلْبِي أَدُورُ عَنِّي وَأُبْكِي عَلَيْهِ أَسَى كَمَقْلَاةٍ هَالُوعِ^(٨)
 فَكَيْفَ أَلَامٌ إِنْ أَدْمَنْتُ نَوْحِي وَجُدْتُ بِمَدْمَعِ الطَّرْفِ الْهَمُوعِ^(٩)
 وَحَالِي نَاصِحٌ أَبْنَاءَ جِنْسِي ؛ فَلَا تَعْتَدْ بِالْجُدْعِ الْمَنِيعِ^(١٠)
 فَإِنَّ الدَّهْرَ كَالصِّيَادِ كَيْدًا وَأَسْبَابُ الْقَضَا شَرَكُ الْوُقُوعِ^(١١)

- (١) المنتمى : النسب والأصل .
 (٢) النجيع : الدم الضارب إلى السواد .
 (٣) البهار : نوع من النباتات يسمى العرار .
 (٤) ربعى : دارى . النشار : المشور ، يريد نثار الأزهار .
 (٥) ققيضنى : خفاء بى .
 (٦) لطف أوصالى : دقة مفاصلى .
 (٧) أناف : ارتفع . الشأو : الغاية . والرفع : العالى .
 (٨) العنا : أى العناء ، وهو هنا الخضوع والدلة . والمقلاة : ناقة تلد واحدا ، ثم لا تحمل بعده ، وامرأة لا يعيش لها ولد ، الهلوع كثير الجزع .
 (٩) أدمنت نوحى : أدمته . الطرف الهموع . العين الكثيرة سيل الدموع .
 (١٠) الجدع : ساق النخلة . والنيع . القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه .
 (١١) الشرك : حباثل العوائد ، الواحد شركه .

٢٦ — الأستاذ الإمام أبو المواهب البكري

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُولَاقٍ وَأُنْسِي بِهِ حَكَكَ مِنْ شَوَّالٍ يَوْمُ الْهِلالِ
وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ جَنُوبًا ، وَمَا مِنْ عَارِضٍ إِلَّا نَسِيمُ الشَّمَالِ^(١)
يَا عَارِضًا أَوْجَبَ لِلنَّيْلِ مَا سَلَسَلَهُ ، وَهُوَ طَلِيقُ الْمَجَالِ^(٢)
وَقَهْوَةٌ تَنْضَحُ مَسْكًَا ، وَلَا بَدْعَ ، فِي الْفَنْجَانِ شَكْلُ الْغَزَالِ^(٣)
حَبَابُهَا مِنْ فَوْقِهَا مَانِعٌ نِفَارُهُ ؛ فَهُوَ شَبَّكَ اللَّكَلِ^(٤)
تُدِيرُهَا هَيْفَاءَ مَمْشُوقَةٍ خَوْدٌ تَثْنَتْ فِي بُرُودِ الدَّلَالِ^(٥)
كَأَدَ حِجَابٍ مِنْ أَقْبَلَتْ نَحْوَهُ يَذْهَبُ مِنْ رَنَاتِ تِلْكَ الْحِجَالِ^(٦)
بَغْرَةٌ أَوْ طَرَّةٌ وَزَعَتْ أَفْكَارَنَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ^(٧)
تَقُولُ لِلشَّمْسِ ، وَقَدْ أَقْبَلَتْ : تَلْتَمِي مَا أَنْتَ إِلَّا خِيَالٌ

(١) عارض : مانع يمنع من المضي .

(٢) سلسله : أجراءه في حدود . طليق المجال : غير مقيد في جولاته وسيره .

(٣) القهوة : من أسماء الخمر . لا بدع : معناه لا عجب . والمسك : من دم دابة كالظبي يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هذه الخمر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فإن صورة غزال على الفنجان الندي فيه الخمر .

(٤) الحباب : نفاخات الماء التي تعلوه . والللال : اللالي .

(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الحصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة في تكسر ؛ كأنها مخالفة ليس بها خلاف

(٦) الحجال : الخلاخيل .

(٧) الغرة : الوجه . والطره : الناصية

٢٧ — الشيخ عبد الله الشبراوى^(١)

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ؛ وبعد
أن بات ليلة وجد مذبحاً :

أيها القوم وَكُم ! قد هدَمْتُم	بنيَّةَ الله ، واتَّهَمْتُم عِبَادَهُ ^(٢)
وَذَبَحْتُم هذا المذبحَ غَدراً	وقَطَعْتُم بِغِلْظَةٍ أَوْرَادَهُ ^(٣)
ثم نُحِثُ عليه زوراً : ولكن	ذاك أمر قَضَى الإله نَفَادَهُ ^(٤)
أيها النائحون مهلاً ! فَمَنْ ذَا	نالَ من دهره الخُمُون مرَادَهُ
لا تُطِيلُوا على النقيبِ نحيباً	فهو بالدَّيْخ نال أعلى سَعَادَهُ ^(٥)
كم نبيٍّ وصالحٍ وولى	ماتَ قتلاً ، ونالَ أَجَرَ الشَّهادَةِ
هذه سُنَّةُ الأماجدِ قَدْماً	كحُسَيْنٍ وسعْدِ بْنِ عُبَادَةِ
حازَ هذا الشريفُ لطفاً من الله	وَسَاوَى فى حَوْزِهِ أَجداده
لوفورِ الاجورِ والرتبةِ العُلَى	يَا وَحُسْنَى من رَبَّنَا وَزِيَادَةِ
يا خليلي لا تأسفنَّ وأرَّخْ	قَدَّرَ الله قَتْلَهُ وأَرَادَهُ

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .

(٢) بنيَّة الله : ما بناه الله .

(٣) الغدر : ترك الوفاء ، الوريدان : عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود لا أوراد
كما جمع الشاعر .

(٤) نفاده : فناءه ، يريد وقوعه .

(٥) أى أنه مات مقتولاً مظلوماً . فكان جزاؤه الجنة . ونال سعادة الدار الأخرى .
وهى الباقية الخالدة .

وقال في بعض أسفاره متشوقاً إلى مصر :

أَعِذْ ذِكْرَ مِصْرٍ ؛ إِنَّ قَلْبِي مُولِعٌ بِمِصْرَ ، وَمَنْ لِي أَنْ تَرَى مُقْلَتِي مِصْرًا ؟^(١)
وكرر على سمعي أحاديثَ نِيلِهَا ؛ فَقَدْ رَدَّتِ الْأَمْوَاجُ سَائِلَهُ نَهْرًا
بِلَادُهَا مَدَّ السَّمَاحُ جَنَاحَهُ وَأَظْهَرَ فِيهَا الْمَجْدُ آيَتَهُ الْكُبْرَى^(٢)
رُويْدًا إِذَا حَدَّثَنِي عَنْ رُبُوعِهَا فَتَطْوِيلُ أَخْبَارِ الْهَوَى لَذَّةٌ أُخْرَى
إِذَا صَاحَ شُحْرُورٌ عَلَى غُصْنٍ بَانَةٍ تَذَكَّرْتُ فِيهَا اللَّحْظَ وَالصَّعْدَةَ السَّمْرَا^(٣)
عَسَى نَحْوَهَا يَلُوى الزَّمَانُ مَطَيِّتِي وَأَشْهَدُ بَعْدَ الْكُسْرِ مِنْ نِيلِهَا جَبْرًا
لَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا مَعَاهِدُ لَذَّةٍ تَقْضَتْ وَأَبْقَتْ بَعْدَهَا أَنْفُسًا حَسْرَى

(١) مولع : مغرم . اللقطة : شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها .

(٢) السباح : الجود والكرم كالسباحة .

(٣) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قد الفتاة .

(ب) النثر

أولا - النثر الفني

١ - الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى^(١)

قال يصف بستانا :

« فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلون ، تنساب جداولُ جوانبه كالأرقام^(٢) ، ويصفقُ النهر لرقص الغصون على غناء الحائم ، ويهبّ النسيم فينقّطها من الزّهر بدنانيرَ ودراهم ، قد تطاولَ فيه من ألبان كلِّ قِدٍّ مخطوف ، وخجل فيه من الورد كلُّ خِدٍّ موصوف ، فأجلسنا الرّجس على عينية وأحداقه ، وظللنا الغصنُ بستائر أوراقه ، وحيّا منشوره الأبيض والأزرق بالأصابع ، وفتح كفوفه الصّففر وهو منا غيران فاقع^(٣) ، وجرى النهر بين أيدينا متواضعا بسجوده ، وشبّ الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار على عوده ، قد رق نسيمه وراق ، وجذب الحائم إلى الغناء بالأطواق :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى حديثا فطابت من شذاه المسالك

وقال :

إذا مادنا فصل الربيع ؛ فكله ثغورٌ لما قال النسيم ضواحك

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبي حيان اللغوى وغيرها ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفي سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأرقام : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر . وفاقع الصفرة شديدها .

قد شاب ذلك الزهر قبل شبابه ، وغناه الطير فتساقط من طربه وإعجابه ،
ومرّ عليه النسيم بذيله البليل ، فشب حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل .
فيالها روضة صدحت أطيارها فأطربت الأشجار وألبستنا ثوب الخلاعة عند
خلع العذار :

انظر إلى الروض النضير كأنما نشرت عليه ملائة خضراء
أنى سرحت بلحظ عينك لا ترى إلا غديراً جال فيه الماء
وترى بنفسك عزّة في دوحه إذ فوق رأسك حيث سرت لواه^(١)

والماء قد رق وراق ، وتسلسل وهو في الإطلاق ، وجرى فتكسر ، وصفا
ولم يتغير ، وصاحب الذمات وحالها ، وقاطع الأغصان وخاتمها ؛ وأتته الرياح
للزيارة من شعابها وهضابها ، وسرق حلى الأغصان فضتها في صدره وجرى بها ،
والعيون ترمقه في جريه ومسيره ، وهو لا يفتّر عن تصفيقه وخيره ؛ حتى خشنا
عليه التكسير من التمداد ، ورجونا من ماء عينيه رى كل صادى^(٢) .

يا حسنه من جدول متدفق يلهو برونق حسنه من أبصرا
مازلت أُنذره عيوناً حوله خوفاً عليه أن يصاب فيعثرأ
فأبى وزاد تمادياً في جريه حتى هوى من شاهق فتكسرا^(٣)

ولم يزل الطير يسمى بين النهر والغصن في الاتفاق ، ويكرّر الخانه ويراسل
في الأوراق ، ويجتهد في الصلح ويدعو إليه ، ويحرص على الوفاء ويحرص عليه .

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش ، لما يظلك من شجر عظيم كالألوية في مقدمة الجيش .

(٢) الصادى : العطشان .

(٣) الشاهق : المكان العالى .

وقام الشحرور بينهما واعظا وخطيبا ؛ فأجدت مواعظه وكان قلبُ النهر صافيا
وقريبا . وقام النسرين^(١) من السرور على ساق ، وجذب كلَّ صدوح للغناء
بالأطواق ، وتبسمت من الأقحوان^(٢) الثغور ، ونسمت نفحات المسك والكافور
واعتلَّ النسيمُ غيرةً وتغير ، فتولَّى وهو بذيله يتعثّر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيو لا
على الأغصان فتمعنق اعتناق المواصل الغضبان :

في روضةٍ علم أغصانها أهلَ الهوى العذرى كيفَ العناق
هبت بها ريح الصبا سُخرةً فالتفت الأغصان ساقا يساق
وبكى النهرُ على مُواصلَةِ الغُصون ، وخرَّ لديها وفاضتُ منه العيون ، ومثلها في قلبه
شغفاً وحباً ، وصار بها من دون الصَّبا صَباً :

والنهر قد عَشق الغُصونَ فلم يزل أبداً يمثِّل شخصها في قلبه
حتى إذا فطَنَ النسيمُ فجاءه من غيرةٍ فأزالها من قرْبهِ
وغدا عليه مُهَيَّئِماً بعتابه سرّاً فجعد وجهه من عَتْبِهِ^(٣)

فلم يَزْجُرْ النهرَ عن حُبِّ الغُصونِ زاجرٌ ولا عاذل ، ولم يُجِبِ العذل إلا بدمعه
السائل — وصار يردُّ برْدَ الهوى بجزَّ هواه العذرى ، وغدا ساعياً بسعادة الأغصان
يَجْرِي ، ففنع منها بأدنى وصال ، وربما اقتصر منها في الحب على الخيال :

(١) النسرين : بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة .

(٢) الأقحوان : نبات أوراق زهرة الفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) الهينمة : الصوت الخفى .

ونهر بحبّ الدوح أصبح مغرمًا بروحٍ ويغدو دائمًا بوصالها
إذا أبعدت عنه شكا بخريه جفاها ، وأضحى قانعا بخيالها

٢ - القلقشندي^(١)

من رسالة للقلقشندي عن الملك الناصر فرج بن برقوق إلى صاحب فاس
في ذكر وقعة تيمورلنك :

وتحركنا من الديار المصرية في جيوش لا يأخذها حصر ؛ ولا يلحقها هصر^(٢)
ولا يظن بها على كثرة الأعداد كسر ، ولم نزل نحث السير ، وتسرع الحركة للقاء
العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها^(٣) ، مستمطرين
النصرة في أوائل حركتنا وأواخرها ، وانضم من عساكر الشام وعربانها ، وتركائنها
الزائد على العدّ وعشرانها ، ما لا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ،
وأقبل القوم في لفي^(٤) كالجراد المنتشر ، وأمواج البحر التي لا تنحصر : من
أجناس مختلفة ، وجموع على تباين الأنواع مؤتلفة . وتراءى الجمعان ، في أفسح
مكان ، ورأى كل قبيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان . واعتد الفريقان

(١) هو أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، صاحب كتاب « صبح الأعشى في
كتابة الإنشا » ولد في قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت
عربي ، وقد تأدب في القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلا مبعجلا
حتى توفي سنة ٨٢١ هـ .

(٢) المهر : الكسر . أي لا تلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفي : أي جماعة في جيش .

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والنقاء الصفوف والمناجزة^(١) إذ ورد ورد من جهتهم يطلب الصلح والمواعدة ؛ والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، وأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأي إصابة ؛ وكتبنا إليهم في ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل في الصلح وكف القتال
قلنا له : نعم الذى قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

٣ — القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر^(٢)

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا
بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه بعطفه على الممالك والحصون ، وشمخ
بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون^(٣) ، وغدا جاذبا بضبع^(٤) الشام ،
وآخذا بمخائق بلاد الإسلام ؛ وشللا فى يد البلاد ، وشجأ فى صدى العباد ، تنقض ؛
من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ،
وتربض بأرضه^(٥) آساد تحمى تلك الآجام^(٦) وتُفوق من قسيه^(٧) سهام تصمى
مفوقات السهام ، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الحذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقة
القاضى الفاضل فى اتباع البدیع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان
الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . توفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التى يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضاً من الكثرة .

(٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحي والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٧) القسى ، جمع قوس . وتفوق : أى تصيب وتسدد .

أموالهم وهم صابرون لا مُصابرون . كم شكت منه حماة^(١) قلة الإنصاف ، ومخافته مَعْرَةٌ وما من مَعْرَةٍ خاف . ما زالت أيدي الممالك تمتدُّ إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جواره تلك الحصون والصِّيَاصِي^(٢) ، وتبكي بمدمع نهرها^(٣) من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بمدمع العاصي ؛ حتى تَبَّه الله الحُظَّ سيوف الإسلام من جُفُونِها ، وَوَفَّى النُّصْرَةَ ما وجب من دُيُونِها . وذلك بَأَنَّا قَصَدْنَا فسيمح رُبْعَهُ ، ونزلنا ونازلنا محي صُتْعِهِ^(٤) ، وخيمنا بنصالنا على قلبه وسمعه ، وله مدن حوله خمس هو كالراحة وهي كالأنامل ، وتسكاد بُرُوجُهُ تُرى كالمطايا المَقَطَّرَةِ^(٥) وهي منها بمنزلة الزَّوَامِل^(٦) ؛ ما خيمنا به حتى استَبَحْنَا محي تلك المدائن المَكْنِيَّ عنها بالأرباض ، وأسحنا بساحتها بحراً من الحديد ما اندفع حتى فاض ؛ وأخذنا الثُقُوبَ في أسوارٍ لا تُنْقَضُ ولا يَنْقَضُ بُنيانُها المَرْصُوصُ ، ولا تقرأ المعاول ما إخوانهم أبراجها من نُقُوشِ الفُصُوصِ ؛ ونصبنا عليها عدَّة مجانيق^(٧) حُمِلَتْ في شواهِق الجبال ، على رؤوس الأبطال فتَغَيَّظَتِ السَّمْهَرِيَّةُ^(٨) أن الذي تقوم به هذه تلك به لا تقوم ، وأن ما منها إلا له من الأيدي والرؤوس مقامٌ معلوم ؛ وصار يرْمِي بها كلُّ كميٍّ مختلسٍ وأزوعٍ مُنْتَهَسٍ^(٩) ، وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميه ؛ فشكراً للأسود

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة .

(٢) الصياصي : الحصون الرفيعة .

(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماة .

(٤) الصقع : الناحية والجهة .

(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهي قطار .

(٦) جمع زاملة وهي الدابة التي يحمل عليها من الإبل وغيرها .

(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل في الحروب ترمى بها الحجارة .

(٨) السمهرية : الرماح وهي صفة لها .

(٩) النهي : النهش ، والنهي مشتق منه . المختلس : اليعقب المتحين للفرصة ليتمكن من القتل

حتى غاباتها تفترس ؛ إلى أن جَثَّتْ أسوارها على الركب وكانت سهامُ مجانيقها
تميلُ من العَجَب^(١) فصارت تميد من العَجَب^(٢) ، وكانت تطلبُ فصارت تهرب
من الطلب الخ .

٤ — الإمام ابن حبيب الحلبي^(٣)

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس في البحر والنهر :

هزنتي رياح الأمل البسيط^(٤) ، إلى امطاء ثَبَج^(٥) البحر المحيط ، فأُتيتُ سفينة
يطيب للسفر مئواها ، وركبت فيها بسم الله مجراها ومرساها ، موقنا بأن المقدور
صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى علىَّ منه المعاطب^(٦)

طين أنا ، وهو ماء ، والطين في الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسر^(٧) وألواح ، تجري مع الرياح
وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادي^(٨) بالملاح ، تخوض وتلعب ؛ وتردُ
ولا تشرب ، لها قلاع كالقلاع^(٩) وشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسُكَّان^(١٠) .
ومكانة وإمكان ، وجؤجؤ^(١١) وفقار ، وأضلاع محكمة بالقار^(١٢) ، وجسم عار

(١) تمهل من العجب : تهتز من الزهو والخيلاء .

(٢) تميد من العجب : تضطرب وتترنزل من الدهشة والتعير .

(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ . (٤) البسيط : المبسوط الفسيح .

(٥) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .

(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .

(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة .

(٨) من يسوق الإبل ويغني لها .

(٩) جمع قلعة . (١٠) سكان السفينة : دفتها .

(١١) الجؤجؤ : الصدر . (١٢) القار : الزفت .

عن القواد ، وهو في عين الماء بمنزلة السواد ؛ بعيدة ما بين السحر^(١) والنحر ،
من أحسن الجوارى المنشآت في البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تملُّ^٢
من سير النهار ولا من سُرَى الليل .

مارأى الناس من قصور الماء ، سواها يسير سير القداح^(٣)

كأنها وعِلُّ^(٣) ينحط من شاهق ، أو عرباض^(٤) سابق يحثه سائق ، أو عقرب^٥
شائلة^(٥) ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أعصم ، أو تمساح أو أرقم ؛ أو ظليم^(٦)
نفر في الظلام ، أو جواد فرّ مستنكفاً من صحبة الأنام . حاكمها عادل في حكمه ،
عارف بنقض أمرها وبرمه ؛ يهتدى بالنجوم ، ويبتدى^٧ باسم الحى القيوم^(٧) ،
يبرز من نوايتها^(٨) في جنود ، ويشمل إحسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود ، يتأنقون
فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكثرون الصياح حتى كأن السُّنَّ تجري من خوف ذاك الصياح

(١) السحر : الرئة .

(٢) جمع قدح وهو السهم ، أى تنطلق مسرعة .

(٣) الوعل : تيس الجبل .

(٤) العرباض : الغليظ من الإبل .

(٥) شائلة : أى رافعة إبرتها التى تلسع بها

(٦) الظليم : ذكر النعام .

(٧) القيوم : من أسمائه تعالى ، ومعناه : الذى لا ندله ، أو القائم بذاته .

(٨) جمع نوتى : وهو الملاح في البحر .

٥ - شهاب الدين محمود الخفاجي^(١)

« المقامة الساسانية »

حدثنا مالك بن دينار ، عن مُسافر بن يسار ، قال : كنت والشباب غرابهُ
لا يطار ؛ وثمراته الجنيَّة تُجنى من رياض الأخبار ، أهوى السياحة والناسُ ناس
والديار ديار ؛ والدهر غرُّ لم يفتن لتلوّن الليل والنهار :

ولم أر يوماً في ظلام مَمَّارقي شهاب مشيب لاح في الإثر منقِصاً

فَسِرْتُ في الأرض لأنظر آثار رحمته ، وأرى مآثر الطراز الأول في أعلام
حلته ؛ فإن من جدّ وجد ؛ ومن توانى فقد فقد ؛ رافعاً عصا التسيار ؛ على كاهل
الاعتبار ؛ رافضاً الاستراحة في مهد الدعة ؛ مشيعاً قلباً فارق حبيباً ودَّعه ، فاطماً
أملاً عن درّ أنس ارتضعه . أضرب كرة الأرض بصـولجان الهمة ؛ لأعبأ بقامة
غير قائمة وهمة همة^(٢) أتدرع بُرد الليل ؛ لأنه أخفى للويل ، وأشق أديم النهار للسير
ولم أقل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ربح تدور ، وورق جف فآلوت به^(٣)

(١) ولد في سرياقوس ، وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فلاستانة وكان من رجال
اللغة والأدب ، وله نوايف معروفة ، وهو ممن كتبوا المقامات . توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) الهم والهمة بالكسر : الشبيخ الفاني . أى همة ضعيفة .

(٣) آلوت به : أى طارت به . والصبا والذبور : ريحان .

الصَّبَا والدَّبُور . كَانِي عَلَى غُصْنٍ بَانَةٍ خَضَلٌ ^(١) تَنْثِيهِ رِيحُ الصَّبَا هُنَا وَهُنَا أَوْ قَدَى
فِي عِيُونِ الْبِلَادِ ؛ أَوْ عَيْرٌ شَرُودٌ تَرْمِيهِ الرَوَابِي لِلْوَهَادِ ^(٢) :

كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي مَتْنٍ مُوَجَّةٍ رَمْتَنِي بِحَارٍ مَا لَهْنٌ سَوَاحِلُ ^(٣)
حَتَّى أَتَيْتُ كُورَةَ خِرَاسَانَ ^(٤) ، فَإِذَا بِهَا قَيْلٌ ^(٥) نَصَبَ عَرْضَهُ لِيَسْهَمَ الْهَوَانُ ،
مَقْلَدًا فِي تَرْجِيحِ الْبَخْلِ مَذْهَبَ سَهْلِ بْنِ مَارُونَ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَمَنْ
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فَطَوَيْتُ حَدِيثَهُ عَلَى عَرِّهِ ^(٦) ، وَأَتَيْتُهُ لِأَقْفِ
عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا جُسْتُ خِلَالَ إِيَوَانِهِ ، قَرَأْتُ عُنوانَ حَالِهِ عَلَى وَجْهِهِ غِلْمَانِهِ
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَنْ أُمْتَرَى أَخْلَافَ دَرَّتِهِ ^(٧) ، وَشَبَعَ مِنْ خُلَّتِهِ وَخَضَصَهُ ^(٨) بِرُؤْيَا
جَرَّتِهِ : يَا هَذَا صَنَاعَتُنَا وَاحِدَةٌ ، لَوْ لَمْ تَدْرُجْ مِنْ عُشَّكَ كَانَتْ الرَّاحَةُ فَائِدَةً !

ثُمَّ قَالَ لِي : أَيُّ الْبِلَادِ تُهْدِي سَلَامَهَا ، وَأَيُّ زَهْرَةٍ تَحِيَّةٌ فَتَحَتْ لَكَ النِّسَمَاتُ
أَكْلَامَهَا ؟ قُلْتُ : الْكِنَانَةُ الْمُعْزِيَّةُ ، وَالْخَطَّةُ الَّتِي هِيَ فِي حَضَانَةِ نِيَامِهَا مَحْمِيَّةٌ ، رِيَاضُهَا
تَحِيًّا بِأَنْهَارِهِ ، وَأَصَابِعُهُ ^(٩) تُشِيرُ لِسُكُونِ خَضْبٍ تُسْتَنْخَرُجُ مِنْ مَعَادِنِ أَقْطَارِهِ ، إِلَّا
أَنْ أَصَابِعَ النَّاسِ فِي الرَّاحَةِ ^(١٠) وَالْأَيَادِي ، وَفِي أَصَابِعِهِ أَيْادٌ ^(١١) وَرَاحَةٌ لِكُلِّ

(١) الخَضَلُ : النَّدَى الْمَبْتَلُ .

(٢) الْعَيْرُ : الْحِمَارُ . وَالرَّوَابِي : الْأَمْكَةُ الْعَالِيَةُ . وَالْوَهَادُ : الْأَمْكَةُ الْوِطَاطِيَّةُ .

(٣) الْوَجْنَاءُ : النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ .

(٤) الْكُورَةُ : النَّاحِيَّةُ ، وَتَطْلُقُ عَلَى الْمَدِينَةِ .

(٥) الْقَيْلُ : الْأَمِيرُ الْمُتَوَلَّى أُمُورَ الْكُورَةِ .

(٦) الْعَرُّ : الْعَيْبُ وَالشَّرُّ .

(٧) أُمْتَرَى : جَذِبَ الضَّرْعَ لِلْجَلْبِ . وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ ، وَهُوَ حُلْمَةٌ ضَرَبُ النَّاقَةِ
وَالدَّرَّةُ : اللَّبَنُ أَوْ سِيلَانُهُ وَكَثْرَتُهُ .

(٨) الْحَلَّةُ : مَا فِيهِ حَلَاوَةٌ مِنَ النَّبَاتِ ، وَالْحَمْضُ مَا فِيهِ مَلُوحَةٌ .

(٩) فِي الْأَصَابِعِ تَوْرِيَّةٌ ، لِأَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْأَصَابِعِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَعَلَى أَجْزَاءِ يُقَاسُ بِهَا النَّيْلُ .

(١٠) الرَّاحَةُ : السَّكْفُ . (١١) الْأَيْدَى هُنَا : النِّعَمُ وَالْآلَاءُ .

حاضر وباد . فإن سألت عن حال فقوادي بها فواد أم موسى فارغ من آمالي .
وما حال ورزة فارقت نسمات القبول^(١) ؟ فحداها السّموم وقادها الذبول :

فتأمل كيف يَغشى مُقلّة المجدِ نَعاسُ ؟

فأما حال سكّانها ومن ألقى جرائه بأعطانها^(٢) ، فقد ذهب أرباب الهمم العالية
ولم يبق إلا من يفتخر بالرّمم البالية ، رُوحُ الشوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة البوم ،
وبعّين الله ما يصنع الليل والنهار — ويستُر الثوب والجدار ، وما يستتر في ضمائر
البيوت ، وإن طال التحمّل والسكوت . فكم بكت السماء أرضاً فقدت حبيباً ،
وساعدتها سحب أتعجبت بها نحيباً :

ولطّمت الحدودَ بها بروقٌ وشقّقت الرعودُ بها جُيوباً

فقل لمن أفتخر بالعِظام ، ما وراءك يا عصام ؟

ولنعطف على هذا النسق ، لبيان من بقي منهم طبقاً على طبق^(٣) ، من أصناف
لا تعدّ ، وأجناس لا ترسم ولا تُحدّد : من كل سائل بالإلحاح التّحف ، أو دار
بمزمار ودّف ، أو تغنى بأنكر الأصوات ، فتهق إذ رأى شيطاناً يدّعي الكرامات
يقيم بها المعتزليّ دليل إنكار الكرامة ؛ ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامل
راية وعلم ، جعل القناعة علماً لسقوط الهمم . ومنهم من كبر وتكسّرت قواريره^(٤)
وخبا نوره حين هبت أعاصيره ، وهو أعظمهم جرماً ، وأقلهم ديناً وحزماً ، حُرّ

(١) القبول : ريح العسا ، وهي تهب في بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبرت وتكسّرت قواريره ، وهو من ألقاظ أهل بغداد ،

كأنهم يصون لرفعة الظهر .

مُسْتَنْفَرَةٌ ، يقرءون القرآن في بقاع مُسْتَقْدَرَةٍ ، بين رَهْطٍ لا يتدبرون ولا يستمعون ولا يمثلون قول الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » . وَتُجَارُ رَأْسُ مَا لَمْ يَفْلَسْ ، يضربون الأخماس للأسداس^(١) ، يُزَكُّونَ كَذِبَهُم بِالْإِيمَانِ الْفَاجِرَةِ ، فيربحون خَسَارَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِنْ خَاشَتِ أَحَدَهُمْ فِي تَقَاضِيهِ ، بَادِرَ بِالْحَلِفِ عَلَى دَيْنِهِ فَيَقْضِيهِ .

يقول : أَسْتَمِعُ حَلْفَتِي كَاذِبًا إِذَا مَا اضْطَرَرْتُ ، وفي الحال ضيقٌ وهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُسْلِمٍ يَدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ^(٢) .
وقد فَقَدَ الْعِلْمُ لَوْلَا نَفْحَةُ أَنْسٍ مِنْ نَفَرٍ بَقَايَا ، ففتح الله بهم خَزَائِنَ كَنُوزِ هِيَ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا : مِنْ كُلِّ نَقِيٍّ الْعَرِضِ أَبْيَضِ السَّجَايَا ، إِذَا تَدَانَسَتْ الْأَعْرَاضُ فَأَعْرَاضُهُمْ مِنَ الْعَارِ عَرَايَا :

أَبَدْتُ مَا تَرَاهُمْ نَقَصَ الزَّمَانُ فِي خَدِّ الرَّبِيعِ طُلُوعُ الْوَرْدِ مِنْ خَجَلٍ
سَحَتْ شَوْكَتُهُمْ رِيَاضًا فِي رُبَا الدِّينِ الْعَوَالِي ، وَأَحْيَا اللَّهُ بِأَنْفَاسِهِمُ الْعِيسَوِيَّةَ
مَوَاتِ الْمَعَالِي : وَلَمَّا شَرَحَ اللَّهُ بِهِمْ صَدْرَ الدِّينِ ، وَفَتَحَ بَبِصَارِهِمْ عَيْنَ الْيَقِينِ ،
أَيْدَهُمْ بِأَبْنَاءِ الْأَعْيَانِ مِنْ أُمَرَائِهَا فَقَالَتْ^(٣) الْخِلَافَةُ تَحْتَ أَفْدَاءِ لَوَائِهَا ، حَتَّى حَوَّاهُمْ
مِنْ نَوَائِبِ الْخُتُوفِ ، وَزَهَتْ جَنَّةُ مَثْوَاهُمْ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ؛ فَصَارَتْ بِهِمْ
الْأَطْرَافُ ، مِنْ مَنَازِلِهِ مَنَازِلُ الْأَشْرَافِ . وَلِهَذَا يُشِيرُ الْبَدِيعُ^(٤) ، بِقَوْلِهِ فِي مَعْنَى بَدِيعٍ :
قِيلَ لِي : لِمَ حَلَسْتَ فِي طَرَفِ الْقَوَائِمِ ، وَأَنْتَ الْبَدِيعُ رَبُّ الْقَوَائِمِ

(١) يضرب أخماساً لأسداس : أى يسعى في المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٢) البيهقيان لابن الرومي ، ورويان ببعض اختلاف في اللفظ .

(٣) قال يقليل : نام وقت القائلة ؟ الظاهر .

(٤) هو البدیع الحمدانی .

قلتُ : آثرتهُ ، لأن المفايدَ لَ يَرى طرُزُها على الأطراف
وكفاني من المفاسخِ أُنّى نازلٌ في منازلِ الأشرافِ
فأَوُوا من ذلك الظل لركن مُعْتَمِد ، ونزلوا فيه بين العلياء والسند . متّعنا
الله بهذه الدولة وجعلها أطولَ الدولِ عُمرًا ، وأرفعها منارًا وأعظمها قدرًا ، سماء
مجدهم مُكَلِّلة بنجوم تهتدى بها الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلب عانى^(١) ،
والدهر لسعدهم من الخدم ، وفيضُ أياديهم يُغْنِي عن الدِّيم^(٢) ، وسُحْبهم مُغْدِقَةٌ
على الراجين بالكرم :

قلتُ للبرق إذ تالق فيها : يا زنادَ السماء من أوراكا
إن تشبَّهت بالكرام وما قد كان من جودهم فلست هناكا
ومذ كَلَّتْ دُهُمُ^(٣) الأقلام من المشى فى الكتابة شَكَرتُ مشيها على الرؤوس ،
وقلتُ لا عِطَرَ بعد عروس ، فقد جف القلم ، وكل شيء بلغ الحدَّ أنتهى وتم .

(١) العانى . الذى تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الدِّيم : جمع ديمة ، وهى المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيه القلم بالأدهم ، لأن الكتابة

غالبًا تكون بالمداد الأسود .

ثانيا - النثر العلى

١ - الشيخ كمال الدين الدميرى^(١)

قطعة من كتابه « حياة الحيوان » :

(الْحَمَامُ^(٢)) قال الجوهري هو عند العرب ذواتُ الأطواق ، نحو الفَوَاحِش^(٣) والقُمَارَى^(٤) وساقُ حُرٍّ والقَطَا والوَرَّاشِينَ^(٥) وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ، لأن الماء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للأنثى ، وعند العامة أنها الدواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ دعتُ ساقَ حُرٍّ بُرْهَةً فترنما

والحمامة هنا : القُمَرِيَّة . وقال الأصمعي في قول النابغة :

واحكمُ كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شرع وارد التمد^(٦)
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فأنقوه كما زعمت : تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزد

(١) توفي سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق

(٣) جمع قمرية بضم القاف .

(٤) ذكر القمارى .

(٥) مفردة ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .

(٦) التمد الماء القليل .

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد في مضيق الجبل ، فقالت : ياليت
هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكمل لنا مائة قطاة ؛ فأتبعت
وعُدَّت على الماء فإذا هي ست وستون ، قال أبو عبيدة : رأته عن مسيرة ثلاثة
أيام ، وأرادت بالحمام القطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموي : الدواجن التي
تستفرخ في البيوت تسمى حماماً أيضاً . وأنشد للعجاج :

إني وربّ البلد المحرم والقاطنات البيت عند زمزم

* قواطنا مكة من ورق الحم *

يريد الحمام : جمع الحمامة حمام وحمامات . وربما قالوا حمام المفرد .

قال جرّان العود :

وذكرني الصبّا بعد ألتنائي حمامة أيكّة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير : إن اليمام هو الحمام البرّي ،
الواحدة يمامة ؛ وهو ضروب . والفروق بين الحمام الذي عندنا واليمام أن أسفل ذنب
الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض ، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه ، انتهى . ونقل
النوّوي في التحرير عن الأصمعي : أن كل ذات طوق فهي حمام . والمراد بالطوق
الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها . وكان الكسائي يقول :
الحمام هو البرّي ، واليمام الذي يألف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعي . ونقل
الأزهري عن الشافعي : كل ما عبّ وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام ، والعبّ
بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفّس ؛ قال ابن سيده : يقال في الطائر :
عبّ ، ولا يقال : شرب ، والهدير : ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له ؛

قال الرافعي : والأشبه أن ما عب هدر ، قال : فلو اقتصرنا في تفسير الحمام على اللعب لكفاهم ؛ ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيون المسائل : وما عب من الماء عباً فهو حمام ، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام .

٢ — ابن خلدون^(١)

فصل من مقدمته في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم للتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً ، وقليلًا قليلًا ، يُلقَى^(٢) عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويُقَرَّبُ له في شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفن . وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايته أنها هيئات لفهم الفن ، وتحصيل مسائله . ثم يرجعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن ؛ فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا^(٣) ، فلا يترك عويصاً ولا مُبْهِمًا ولا مُغْلَقًا إلا وضحاه ، وفتح له مُغْلَقَه فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو — كما رأيت — إنما يحصل في ثلاث تكرارات ،

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه وبمقدمته التي نقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى في مناصب عدة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أى المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتي : وعليه أى على المتعلم .

(٣) شدا : أخذ طرفاً من الأدب .

وقد يحصل البعض في أقل من ذلك بحسب ما يُخلَق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقلقة من العلم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه وعى ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ؛ ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة^(١) مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ؛ والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذى فوقه ، حتى تتم الملكة في الاستعداد ، ثم في التحصيل ؛ ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ، وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله ، وتمادى في هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

٣ — المقرئى^(٢)

من خطبة كتابه : « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » :
وبعد ، فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً ، لما يحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار ،

(١) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

(٢) هو تقي الدين المقرئى المولود سنة ٧٦٦ هـ . وكان شاعراً كاتباً مؤرخاً توفى

والاطلاع على مكارم الأخلاق لِيُقْتَدَى بها ، واستعلام مَذَامِّ الفِعال لِيَرْغَبَ عنها
أولو الهوى . لا جَرَمَ أن كانت الأنفس الفاضلة به وائمة^(١) ، والهيمُ العالية إليه
مائلة وله عاشقة . وقد صنف الأئمة فيه كثيراً وضمّن الأجلة كتبهم منه شيئاً كبيراً .

وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب أترابي ، وجمع ناسي ، ومغنى عشتري
وحامتي^(٢) ، وموطن خاصتي ، وعامتي ، وجوِّي الذي رآني جناحي في وكره ، وعش
ماربي فلا تهوى النفس غير ذكره ، لا زلتُ مذكورة العلم ، وآتاني ربي الفطانة
والفهم ، أرغب في معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الكثير من آثارها ،
وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ؛ فقيدتُ بخطي في الأعوام الكثيرة
من ذلك فوائد قلما يجمعها كتاب ، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب ؛ إلا أنها
ليست بمرتبة على منوال ، ولا مهذبة بطريقة واحدة ومثال . فأردتُ أن أخلص
منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية والقرون الخالية ؛
وما بقي بفسطاط مصر من معاهد غيرها — أو كاد — البلى والقدم ، ولم يبق إلا أن
يمحورسمها الفناء والعدم ؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة ، وما اشتملت
عليه من الخطط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة والأوضاع ؛ مع التعريف
بمال من أسس ذلك من أعيان الأمانل ، والتنويه بذكرى الذي شاهدها من سراة
الأعظم الأفاضل ؛ وأثر خلال ذلك نكتاً لطيفة ، وحِكماً بديعة شريفة ، من غير
إطالة ولا إكثار ، ولا إحجاف يُخل بالعرض ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين ،
وطريق بين بين . . . الخ .

(١) وائمة : محببة .

(٢) الحامة . خاصة الرجل من أهله وولده .

٤ — شمس الدين محمد النواجي^(١)

قطعة من كتابه « حلبة الكميت » في أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هي الريح الطيبة ، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بلين قبل اشتدادها ، وفي الحديث : « بُعِثْتُ في نسيم الساعة » أي حين ابتدأت وأقبلت ، وما أحسن قول بعضهم : نسيم الريح نَسِيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع ، الصبا وتسمى القبول وهي تنفّس عن المكروب ، والجنوب وهي تجمع السحاب ، والشّمال وهي تمرّقه ، والدّبور وهي تهّدم البُنيان ، وتقلع الشجر ، وهي القاصف والصّرصر . وكلّ ما في القرآن من لفظ الريح ، فالمراد به الدّبور ، ولازمها العقوبة ، وكل ما فيه من لفظ الرياح فهي راجعة إلى الثلاثة الأولى ، ويراد بها الرحمة . ومن الحديث : « نُصِرْتُ بالصّبا وأُهْلِكْتُ عاد بالدّبور » . وقيل الرياح ثمانية : أربع في الجهات الأربع ، وأربع تسمى النّكباء ليلها ونكبتها عن الجهات الأربع ، والشّمال من ناحية الشام ، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق ، فهبوبها من تحت بنات نعش ، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر ، تشد الأعضاء ، وتسدّ المسام ، وتحصر الحرارة في الباطن ، فينهضم الغذاء وتصفو بها كدورة الروح الحيواني ، الذي في القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة ، وتقوى حواس الدماغ ، وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال ، وهي قليلة الهبوب ليلا ، وكان الصاحب بن عباد يترنم بقول أبي فراس :

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ شَمَالِيَّةٌ مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ

(١) ينسب إلى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع في الأدب

والشعر وله عدة مؤلفات وتوفي سنة ٨٥٩ هـ .

أدت رسائل الهوى بيننا عرفت من بين أصحابي

قلت : والله إن صاحب بن عبّاد لمعذور ، فإن هذا مما يريح الجواد ،
وتجمع الشمال على شمائل ، ولذلك يحسن فيه التّورية . ومنه قول الشيخ تقي الدين
ابن حجة :

جاد النسيمُ على الرُّبا بندى يديه وقال لى :
أنا ما أقصّر عن ندى وكما علمت شمائل

والصَّبَا تَهَبُّ من مَطْلَعِ الشمس وتُسمى القَبُول ، ويقابلها الدَّبور وهي معتدلة
ولا سيما إن هَبَّت قبل طلوع الشمس في زمن الربيع ، وهي لطيفة صافية ، تذكى
الأذهان ، وتنفع الأبدان ، وتبسط الأخلاق ، لا سيما إن مرت بمُروِج الأزهار
فإنها تحمل قواها إلى القلب والدماغ . . الخ .

هـ - ابن خلكان^(١)

قطعة من كتابه « وفيات الأعيان » :

كتب يترجم لأبي طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي قاسم بن زيادة
الشَّيبَانِي البَغْدَادِي المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيان الأماثل^(٢) ، والصدور الأفاضل ، أنتهت إليه المعرفة بأمور

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الأربلى ولد سنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل في البلاد حتى
نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ . وتولى قضاء الشام ودرس في عدة مدارس . وتوفى سنة ٦٨١ هـ .
اشتهر بكتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو كتاب مفيد في تاريخ الأشخاص .
(٢) الأماثل : جمع أمثل أى أفضل .

الكتابة والإنشاء والحساب ، مع مشاركته في النقش وعلم الكلام^(١) والأصول وغير ذلك . وله النظم الجيد . جالسَ أبا منصور بن الجواليقي ، وقرأ عليه وعلى من بعده ، وسمع الحديث من جماعة . وخدم الديوان — من صباح إلى أن تُوُفِّيَ عدّة خدمات . وكان مليح العبارة في الإنشاء ، جيد الفكرة حلو التصرّيع ، لطيف الإشارة . وكان الغالب في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب السجع . وله رسائل بليغة ، وشعر رائق ، وفضله أكثر من أن يذكر . وتولى النظرَ بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى الحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورُتّبَ حاجباً بباب المتولى ، وقُلِّدَ النظرَ في المظالم ثم عُزل عن ذلك .

٦ — الديار بكرى^(٢)

وصف استيلاء التتار على بغداد ، من كتابه : « الخميس ، في أحوال أنفس نفيس » .

وفي سنة أربع وخمسين وستائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحي الري ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد ، صاحب ميّافارقين ، إلى خدمة هولاكو : فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

وفي أول سنة خمس وخمسين وستائة ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية

(١) علم الكلام : علم التوحيد .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، نسبة إلى ديار بكر ، تولى قضاء مكة ،

وتوفي بها سنة ٩٨٢ هـ .

والرافضة أدت إلى نهبٍ عظيمٍ وخرابٍ ، وقتل عِدَّةٍ من الرافضة ، فغضب لها وتنمر ابن العلقمي الوزير ، وجسَّرَ التتارَ على العراق ليشتفَى من السنيَّة .

وفي أول سنة ست وخمسين وستمائة وصل الطاغية هولاكو ، ابن تولى ابن جنكيزخان المغولي ، بغدادَ بجيوشه وبالكَرَج وبمسكر الموصل ، فخرج الدويدار بالعسكر ، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقتلهم ، ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيها ، ونزل هولاكو من شرقيها . فقال الوزير ابن العلقمي خليفة المستعصم بالله : إني أخرج إلى القاءان الأعظم في تقرير الصلح . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغب في أن يزوج بنته بابنك . وأن تكون الطاعة له كالمملك السلجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم في أعيان دولته وأكابر الوقت ليحضروا العقد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها ، وأخذ كل ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوماً ، وقلَّ من سلم ، فبلغت القتلى ألف ألفٍ وثمانمائة ألف وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدده إن لم يخرج أسوار بلاده .

أكذا في « دول الإسلام » .

وفي تاريخ الجلالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولى الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل المهمة ، مهملاً للأمر المهمة ، محباً لجمع المال . أهل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمي ، حتى كان في ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمي الرافضي كان

كتب كتاباً إلى هولاكو ملك التتار في الدشت : إنك تحضر إلى بغداد وأنا
أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللعين الكفر . فكتب هولاكو : إن عساكر
بغداد كثيرة ، فإن كنت صادقاً فيما قلته ، وداخلاً في طاعتنا ، فرق عساكر
بغداد ونحن نحضر ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ، دخل إلى المستعصم وقال :
إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدو قد رجع من بلاد العجم ، والصواب
أنك تعطى دستوراً لخمس عشرة ألفاً من عسكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابه
المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم
من بغداد ومنعهم من الإقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم
عشرين ألفاً من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بما فعل . وكان قصد الوزير
بمجيء التتار أشياء منها : أنه كان رافضياً خبيثاً ، وأراد أن ينقل الخلافة من
بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ،
فأفكر أن هولاكو إذا قدم يقتل المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سبيله ،
وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقي هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر
وتدبير المملوكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع لضعف
العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف في أهل السنة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولما بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ،
وصار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاكو ، وقد اجتمع أهل
بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغداد ، ومشى عليهم
هولاكو بعساكره فقاتلوه قتالاً شديداً ، وصبر كل من الطائفتين صبراً عظيماً ،
وكثر الجرحى والقتلى في الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر

هولاكو أقبح كسرة ، وانساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى ورءوس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيامهم مطمئنين بهروب العدو ، فأرسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، ففرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقي فرساً يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ، وأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردم ، فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ووقع منهم ما يطول شرحه .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصم أسيراً ، ثم بذل السيف في المسلمين ، فلم يرحم شيخاً كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيراً هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو ، فأخرج من بغداد وأنزله بمخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم في عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده في عدلين^(١) وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا في الحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدة من قتل في نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف إنسان . وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافة سنين إلى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البندقداري بعض بني العباس في الخلافة حسبا يأتي ذكره على سبيل الاختصار .

(١) العدل بكسر العين : الجولق : الشوال .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى المات سلام

أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف في أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف في أهل السنة والرائضة كلهم وهو في منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده فلم يلبث أن أمسكه هولاء بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بالفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير في مخدمته ولا في دينه ، فكيف يكون له خير في هولاء كوا ؟ ثم إنه قتله شر قتلة ، في أوائل سنة سبع وخمسين وستائة . إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

٧ — الشيخ شهاب الدين الألبشيهي^(١)

قطعة من كتابه « المستطرف ، من كل فن مستظرف » في علو الهمة

وشرف النفس :

أما علو الهمة فهو أصل الرياسة ، فمن علت همته ، وشرفت نفسه تحمارة بن حمزة قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه ، فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : حمارة بن حمزة غصبني ضيعتي ! فقال المنصور : يا حمارة قم فاقعد مع خصمك ، فقال : ما هو لي بخصم ، إن كانت

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعتني ، وأقعد أدنى منه ، لأجل ضيعة !

وتحدث السفاحُ هو وأم سامة يوما في نزاهة نفس عمارة وكبره ، فقالت له : ادع به وأنا أهَبُ له سُبْحَتِي هذه ، فإن ثمنها خمسون ألف دينار ، فإن هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس . فوجه إليه الدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت إليه بالسبحة وقالت هي من الطرف ، وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها فقالت : لعله نسيها . فبعثت بها إليه مع خادم ، فقال للخادم : هي لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لي ، فأعطت أم سامة للخادم ألف دينار ، واستعادتها منه .

وأهدى عُبيد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه إليه بذلك ليلا ، فردّه وكتب إليه : لو قبلتَ هديتكَ ليلا لقبيلتها نهارا ، فما آتاني الله خير مما آتاكم ، بل أنتم هديتكم تفرحون .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عُمُورِيَّة أن امرأة من الثغر سيّدت فنادت : واحمداه ! وامعتصماه ! فبلغه الخبر . فركب لوقته ، وتبعه الجيش . فلما فتحها قال : لبيك أيها المنادية !

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة^(١) وهمة ، قيل له في مرضه : إن المريض يستريح إلى الأنين ، وإلى شرح مابه إلى الطبيب . فقال : أما الأنين فهو جزع وعار ، والله لا يسمع الله مني أنينا ، فأكون عنده حزوا . وأما وصف ما بي إلى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ، إن شاء أمسكها ، وإن شاء قبضها .

(١) النخوة : الافتخار والتعظم ، يريد هنا : شجاعة النفس .

ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة ، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ، ولم يخبر أحداً بحاجته .

ومن الشرف والرياسة : حفظ الجوار وحمي الدمار^(١) . وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو إليه ، وحقا واجبا تحافظ عليه . وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك اخترتني حارا ، واخترت داري دارا ، فجنابة يدك عليّ دونك ، وإن جئت عليك يدٌ فاحتكم حكم الصبي على أهله^(٢) .

وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة ، فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب ، خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يُسميها وينسبها ، فعادت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال : عجوزٌ تصلي الخمس عادت بغالب فلا والذي عادت به لا أضرها وقال مروان بن أبي حفصة :

هم يمنعون الجار حتى كأما لجارهم بين السماكين^(٣) منزل

(١) الدمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن .

(٢) أي اقض بما شئت ، فجن نازلون على حكمك .

(٣) السماكان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح والآخر السماك الأعزل .